The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoul El-Deen
Master of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعـــــة الإســـــلامية بغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليــــــــة أصـــــــــول الديـــــن
ماجستير التفســير وعلـوم القـرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة لقمان (دراسة موضوعية تطبيقية).

The Educational Directives and Methods Deduced from Surat Luqman An Applied Objective Study

إِعدَادُ البَاحِثَة
وفاء محمد حسين عليان

إشراف الدكتور/
زهدي محمد مطر أبو نعمة

قُدمَ هَــذا البحـثُ اِستِكمَالًا لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الماجستير في التفْسِيرِ وَعُلُومِ القرآنِ مِنْ كُليةِ أُصُولِ الدينِ فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

صفر/ 1443هـ – سبتمبر/ 2021م

إقـــــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة لقمان (دراسة موضوعية تطبيقية).

The Educational Directives and Methods Deduced from Surat Luqman An Applied Objective Study

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنَّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	وفاء محمد عليان	اسم الطالبة:
Signature:	وفاء محمد عليان	التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
Islamic University of Gaza
عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref. ج س غ/35/
التاريخ Date 09/11/2021م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **وفاء محمد حسين عليان** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة لقمان
{ دراسة موضوعية تطبيقية }

00Educational directives and methods derived from Surat Lqman
{A study of Quranic subjectivity}

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الثلاثاء 3 ربيع الثاني 1443**هـ الموافق **2021/11/09**م الساعة **الحادية عشرة صباحا**، في **قاعة مؤتمرات مبنى طيبة** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	**مشرفا ورئيسا**	....
أ. د. صبحي رشيد اليازجي	**مناقشا داخليا**	....
د. فايز حسان أبو عمرة	**مناقشا خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف ابراهيم الجيش

ملخص الدراسة

هدف الدراسة:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة لقمان [دراسة موضوعية تطبيقية].

منهج الدراسة:

اتبعت المنهج الاستقرائي حسب منهجية التفسير الموضوعي.

من أهم نتائج الدراسة:

1- التأكيد على أن كتاب الله تعالى (القرآن الكريم)، كتاب هداية وإصلاح، فيه فلاح البشر في الدنيا والآخرة.

2- كل سورةٍ من سور القرآن الكريم تمثل منظومة متكاملة من التوجيهات التربوية المتنوعة.

3- رأس الحكمة مخافة الله ﷻ، ووصايا لقمان الحكيم لابنه خير دليلٍ على ذلك.

4- مهما ارتقت أساليب البشر، يظل القرآن الكريم متفردا ومتميزا ومعجزا بأساليبه .

5- الدراسة المتعمقة للآيات وسبر غورها واستلهام الهدايات والحقائق والعظات وربطها بالواقع واجب على علماء المسلمين لتربية الجيل تربية سليمة.

أهم التوصيات:

1- على المسلمين الرجوع إلى كتاب الله تعالى وتوظيفه في تربية الجيل المسلم.

2- ضرورة اهتمام كلّ مربٍّ بزرع العقيدة الصحيحة في النفوس بأساليب متنوعة، كمخاطبة الفطرة الإنسانية، والحث على النظر في الآيات الكونية.

3- الحث على إثراء المكتبة الإسلامية بالبحث في كتاب الله ﷻ واستنباط واستلهام ما يُفعّل دور القرآن في إصلاح الأمة الإسلامية.

4- دعم الفرع الشرعي في مدارسنا الحكومية، وترغيب الطلبة والطالبات للالتحاق به.

5- إدراج وصايا لقمان ضمن الموضوعات التي تدرس في المنهاج المدرسي.

Abstract

This study aimed to examine the educational directives and methods deduced from Surat Luqman using an applied objective study. The researcher followed the deductive approach according to the objective interpretation methodology.

Among the most important results of the study are the following:

1- Emphasizing that the Book of Allah Almighty (the Noble Qur’an) is a book of guidance and reform, by which human beings will thrive in this world and the hereafter.
2- Each Surah of the Noble Qur’an represents an integrated system of various educational directives.
3- The ultimate manifestation of wisdom is to fear Allah, and that the advice of Luqman the Wise to his son is the best proof of that.
4- No matter how advanced the methods of human beings are, the Holy Qur’an remains unique, distinct and miraculous with its methods.
5- Conducting an in-depth study of the verses and exploring their meaning and drawing inspiration from their guidance, facts and sermons, and linking them to reality are all a duty on the part of Muslim scholars to raise the generation in a sound manner.

The study reached a set of recommendations, the most important of which are the following:

1- Muslims should refer to the Book of Allah Almighty and the Sharia sciences in terms of knowledge and practice.
2- The necessity that every educator should pay attention to planting the correct belief in the souls using a variety of ways, such as addressing the human instinct and urging consideration of the universal miracles.
3- Encouraging the enrichment of the Islamic library by researching the Book of Allah, and devising and drawing inspiration from what activates the role of the Holy Qur’an in reforming the Islamic nation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

صدق الله العظيم

[ص: 29]

الإهداء

- إلى سرّ وجودي، ومنبع سعادتي، وقدوتي بعد رسول الله ﷺ، ومنْ رضاهما غايتي (والديّ الحبيبين)..أطال الله عمريهما وجزاهما عني خير الجزاء.
- إلى رفيق دربي ورحلتي، وشاحذ همتي لاستكمال مسيرة علمي (زوجي الغالي)..أدامه الله لي سنداً.
- إلى قرة عيني وشموع حياتي (أبنائي وبناتي)..أفنان، مصعب، عبدالرحمن، صفاء، أنس ومالك...أسعدهم الله وجعلهم من الصالحين.
- إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.
- إلى كل أحبابي.
- إلى كل طالب علمٍ مخلص.
- إلى جامعتي الغرّاء الجامعة الإسلامية.
- ولا ننسى أبطال العزة والإباء أسرانا البواسل، فرج الله كربهم.

أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل: 19].

فإنني أستشعر فضل الله تعالى ومنته ونعمته عليّ، وأتوجه له سبحانه بالحمد والشكر الطيب المبارك ملء السموات والأرض وما فيهن حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، على أن وفقني للسير في طريق العلم الشرعي، راجيةً منه تعالى الرضا والقبول.

ثم أتوجه بالشكر والتقدير كذلك لكل من ساعدني وأرشدني ووجهني ودعمني.. وعلى رأسهم مشرفي الفاضل الدكتور زهدي أبو نعمة حفظه الله.

كما أتوجه بالشكر والتقدير أيضاً إلى عضويْ لجنة المناقشة، كلا من:

الأستاذ الدكتور الفاضل/ صبحي رشيد اليازجي... حفظه الله.

الدكتور الفاضل/ فايز حسان أبو عمرة... حفظه الله.

لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة وإثرائها بملاحظاتهما القيمة، فجزاهما الله خيراً.

والشكر موصول إلى كليّتي كلية أصول الدين، وجامعتي الجامعة الإسلامية متمثلة بالقائمين عليها، لجهدهم المتواصل في خدمة العلم والعلماء.

وكذلك أتوجه بعظيم شكري وتقديري إلى كل من دعمني وساندني من الأهل والأحبة ولو بدعوة خير في ظهر الغيب، فبارك الله فيهم جميعاً.

الباحثة/ وفاء محمد عليان

قائمة المحتويات

مقدمة

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداﷺ عبده وصفيه ورسوله، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ثمّ أمّا بعد:

فإن كتاب الله العظيم هو دستورنا وجامع أمر إيماننا، فيه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، وفيه هداية النفوس الظامئة دوماً إلى الهدى والمحاذرة من الردى، إليه يلجأ العابدون في جنح الليالي، والقضاة فيما شجر بين الناس من اعتساف أو خلاف طلباً للحقّ والإنصاف، وإليه يركن طلاب الحكمة والرشاد مع آياته التي تتوالى مِنحها وينتهي الزمان ولا تنقضي عجائبها.

ولما كانت كل سورةٍ من سور القرآن تحتوي على الكثير من التوجيهات التربوية بأساليب متعددة، كان موضوع دراستي في إحدى سور القرآن، وهي سورة لقمان، لنسبِر غورها، ونستقي من عذبِ فوائدها وهداياتها.

وفي ضوءِ ما عرضته السورة من قضايا تربويّة ومتنوعة، في جوانب الحياة كافّة: كالجانب العقديّ، والتعبديّ، والأخلاقيّ، كانت دراستي بعنوان: **(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة لقمان – دراسة موضوعيّة تطبيقيّة).**

أولاً : أهمية اختيار الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في نقاطٍ عدّة، منها:

1. كون هذه الدراسة تستند إلى القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما يعني أنها صادقة في نتائجها ومخرجاتها.
2. أن سورة لقمان تُعتبر كنزاً تربوياً قرآنياً تحتوي على الكثير من الأسرار والتوجيهات التربوية في مجالاتٍ عدة.

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع :

هناك عدّة أسباب لاختيار الموضوع أبرزها:

1. التشرف في دراسة أحد موضوعات القرآن العظيم، والتي ترسخ مبادئ وقيم وتوجيهات تربوية يستفيد منها المسلم.

2. احتواء سورة لقمان على كثير من التوجيهات التربوية التي لها دور عظيم جداً في تربية وتوجيه الفرد المسلم.

3. إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان انسجام الموضوع الأساسي بها مع المحاور الفرعية.

وقد اعتمدت كلية أصول الدين مشروعاً علمياً لطلبة الماجستير بعنوان التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سور محددة من سور القرآن [دراسة موضوعية تطبيقية]، كان هذا البحث واحداً من هذا المشروع.

ثالثاً : أهداف البحث وغاياته :

توجد عدة أهداف لهذا البحث، منها:

1. التشرف بخدمة القرآن الكريم، من خلال البحث في موضوع من موضوعاته، وفتح مجالات وآفاق جديدة أمام الباحثين لدراسة موضوعات قرآنية مشابهة لهذا الموضوع.

2. علاج كثير من مشكلات الواقع المعاصر من خلال ربطها بالقرآن الكريم وهداياته.

3. إثراء المكتبة الإسلامية ببيان وجوه الإعجاز التي أشارت إليها السورة.

رابعاً : الدراسات السابقة:

بعد البحث في فهارس المكتبات الإسلامية وجدت الباحثة دراسات مشابهة منها:

1. (أساليب التربية والتوجيه في سورة لقمان)، أ. هدى صالح، وم. مروة إسماعيل.

2. (الإشارات التربوية في سورة لقمان، دراسة موضوعية) للباحثة مريمة الحاج، ماليزيا.

خامساً : منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقةً من الخطوات التالية:

1. استقراء آيات سورة لقمان ثم استنباط التوجيهات التربوية، ثم استخراج الأساليب البيانية منها.

2. تقسيم البحث إلى العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب حسب ما يتطلبه البحث.

3. تفسير بعض الآيات تفسيراً إجماليّاً، والوقوف على هداياتها وفوائدها.

4. بيان معاني المصطلحات الواردة في البحث بالرجوع إلى مظانّها الأصلية.
5. توثيق الآيات القرآنية المذكورة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث بين قوسين؛ تجنباً لإثقال الحواشي.
6. الاستشهاد بالأحاديث والآثار التي تخدم موضوع البحث وتخريجها من مظانّها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت، وإلا فإنني أحكم عليه.
7. الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين وأصحاب الشأن ذي العلاقة بموضوع البحث، مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول.
8. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق حسب الأصول.
9. الترجمة للأعلام المغمورة التي ترد في البحث.
10. خدمة البحث بالفهارس اللازمة التي يُحتاج إليها، لتسهيل الانتفاع بها.

سادساً : خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، ثم خدمت البحث بفهرس للآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية، وثالث للمصادر والمراجع، ثم بفهرس للموضوعات الواردة في البحث، فجاءت الخطة على النحو التالي:

المقدمة

وفيها أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهجيّة البحث، ثمّ خطة البحث.

تمهيد

بين يدي سورة لقمان

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة لقمان:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: أسباب نزول السورة.

ثالثاً: زمن نزول السورة.

رابعاً: التعريف بشخصية الحكيم لقمان.

المطلب الثاني: هدف السورة الرئيسي، وأهم مقاصدها:

أولاً: هدف السورة ومحورها الرئيس.

ثانياً: أهم مقاصد السورة.

المطلب الثالث: المناسبات التي تتعلق بالسورة:

أولاً: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

ثانياً: المناسبة بين أول السورة وآخرها.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الروم).

رابعاً: مناسبة السورة لما بعدها (سورة السجدة).

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقديّة والتعبديّة والأخلاقية ووصايا لقمان لابنه من خلال سورة لقمان

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: التوجيهات التربوية العقدية في سورة لقمان ويشتمل على تسعة مطالب

المطلب الأول: تقرير التوحيد، وإثبات البعث والنبوّة، وهدم الشرك ، قمة الهداية .

المطلب الثاني: بيان حال الضالين الأشقياء وحال الأبرار السعداء في الآخرة.

المطلب الثالث: الاستدلال بخلق السموات والأرض على وحدانيّة الله تعالى.

المطلب الرابع: بيان مظاهر قدرة الله تعالى وكبريائه وجلاله وعلمه وكمال صفاته وكلماته التامّة.

المطلب الخامس: توعد الله للمشركين بالبعث و الحساب، وتهديدهم بالعقاب الشديد.

المطلب السادس: تناقض المشركين واضطرابهم في السراء والضراء.

المطلب السابع: وجوب تقوى الله وخشيته، وعدم الاغترار بالحياة الدنيا.

المطلب الثامن: بطلان ادعاء العلم بالغيب.

المطلب التاسع: مفاتح الغيب التي استأثر الله ﷻ بعلمها.

المبحث الثاني: التوجيهات التربوية التعبديّة في سورة لقمان.

ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: تلاوة القرآن وسماعه مصدر الهداية والرحمة والإرشاد والفلاح.

المطلب الثاني: المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة هم المفلحون.

المطلب الثالث: المعرضون عن القرآن والمنشغلون بلهو الحديث تكبراً يستحقون عذاب الله.

المطلب الرابع: بيان مدة الحمل والرضاع وبيان أحكام النفقات.

المبحث الثالث: التوجيهات التربويّة الأخلاقية في سورة لقمان

ويتكون من سبعة مطالب:

المطلب الأول: شكر الله على نعمه يحقق النفع والثواب والبركة للمؤمنين.

المطلب الثاني: جحود نعم الله ومعصية أوامره، والشرك به، يسيء بالمخلوق ولا يضر بالخالق.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى طريق الجنة.

المطلب الرابع: تقرير مبدأ الطاعة بالمعروف واجتناب المعصية العمياء.

المطلب الخامس: الحث على التواضع وتحريم الكِبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين.

المطلب السادس: الصبر على مصائب الدنيا من صفات الأنبياء والصالحين.

المطلب السابع: البعد عن الاغترار بزينة الحياة الدنيا والركون إليها وترك العمل للآخرة.

المبحث الرابع: التوجيهات التربوية المستنبطة من وصايا لقمان الحكيم

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول : توحيد الله تعالى، وعدم الإشراك به؛ لأنه ظلم عظيم.

المطلب الثاني: بر الوالدين، واقتران شكر الله بشكر الوالدين.

المطلب الثالث: اتباع سبيل الأنبياء وأتباعهم من صفات المؤمنين.

المطلب الرابع: بيان سعة علم الله تعالى وشموله.

المطلب الخامس: إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من عزم الأمور.

المطلب السادس: الإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين من صفات المجرمين.

المطلب السابع: القصد في المشي، وغضّ الصوت من تواضع المؤمنين.

الفصل الثاني

الأساليب البيانيّة والبلاغيّة في التوجيهات التربويّة في سورة لقمان

وفيه ثلاث عشرة مطلب:

المطلب الأول: أسلوب المجاز والصور البيانيّة.

المطلب الثاني: أسلوب التقديم والتأخير.

المطلب الثالث: أسلوب الإطناب.

المطلب الرابع: أسلوب التهكم.

المطلب الخامس: أسلوب الالتفات.

المطلب السادس : أسلوب الشرط.

المطلب السابع: أسلوب النداء.

المطلب الثامن: أسلوب الأمر والنهي.

المطلب التاسع: أسلوب الحذف.

المطلب العاشر: أسلوب الإضراب.

المطلب الحادي عشر: أسلوب الاستفهام.

المطلب الثاني عشر: أسلوب التوكيد.

المطلب الثالث عشر: أسلوب مناسبة فاصلة الآية مع موضوعها.

الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات

المصادر والمراجع

الفهارس العامة

التمهيد

بين يديّ سورة لقمان

التمهيد

بين يديّ سورة لقمان

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف العام بسورة لقمان:

أولاً: اسم السورة : عُرفت بين القراء والمفسرين بسورة لقمان[1].

وتبيّن من خلال النظر في آيات سورة لقمان أنّ السورة سُمّيت بهذا الاسم لذكر قصة لقمان الحكيم ووصاياه خلال آياتها، وهذا نهج القرآن الكريم، فإنه كثيرٌ ما تسمى السورة حسب كلمة أو قصة تُذكر فيها، كما في سورة البقرة أو آل عمران، ومريم وغيرها[2].

ثانياً: أسباب نزولها: من آيات السورة التي ورد لها سبب نزول[3]، قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان:15].

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ:(نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: كَانَتْ أُمِّي حَلَفَتْ أَنْ لَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ حَتَّى أُفَارِقَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15] . **وَالثَّانِيَةُ: أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُ سَيْفًا أَعْجَبَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَبْ لِي هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾** [الأنفال: 1] . **وَالثَّالِثَةُ: أَنِّي مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْسِمَ مَالِي، أَفَأُوصِي بِالنِّصْفِ؟ فَقَالَ: «لَا» ، فَقُلْتُ: الثُّلُثُ؟ فَسَكَتَ، فَكَانَ الثُّلُثُ بَعْدَهُ جَائِزًا. وَالرَّابِعَةُ: إِنِّي شَرِبْتُ الْخَمْرَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَضَرَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْفِي بِلَحْيِ جَمَلٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْزَلَ الله عز وجل تَحْرِيمَ الْخَمْرِ**[4].

---

(1) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 137.

(2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1/ 197.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج33/1.

(4) الأدب المفرد، البخاري، باب بر الولد المشرك، ص22. حديث رقم: 24. صححه الألباني.

ثالثاً: زمن نزولها

"مكية النزول، وهي السورة السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ"[(1)].

رابعاً: التعريف بشخصية لقمان الحكيم

ورد ذكر لقمان الحكيم ووصاياه في سورة لقمان، وقد سُميت السورة بهذا الاسم نسبة لذلك، وقد اختلف السلف الصالح حول حقيقة شخصية لقمان، هل كان حكيماً وعبداً صالحاً؟ أم نبياً؟ لكن معظم الأقوال ورأي الجمهور على أنه كان حكيما صالحاً وليس نبياً، ومما يدل على ذلك ما رواه ابن جرير الطبري بسنده عن مجاهد أنه قال:" **كان لقمان رجلاً صالحاً ولم يكن نبيّاً**"[(2)]، وأيضا ما رواه الطبري بسنده عن سعيد الزبيدي عن مجاهد قوله: " **كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، قاضياً على بني إسرائيل**"[(3)].

ولم يُفصّل القرآن الكريم الحديث عن لقمان، وكل ما ذكره أنه كان رجلاً صالحاً مؤمناً، آتاه الله الحكمة، وكان له ولد، فقام بنصحه وتوجيهه.

المطلب الثاني: هدف السورة وأهم مقاصدها

أولاً: هدف السورة:

ركزت السورة على إثبات أصول العقيدة والإيمان بالله تعالى ووحدانيته، وتصديق النبوّة، والإقرار بالبعث واليوم الآخر، وساقت الأدلة المتعددة على ذلك.

كذلك أثبتت السورة الحكمة للقرآن الكريم، وقصة لقمان الحكيم ووصاياه أوضح دليل على ذلك.

ونراها بشكل عام قد خاطبت النفس البشرية، ودعتها إلى ما يسعدها ويحييها الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة[(4)].

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج138/21.

(2) تفسير الطبري، الطبري، ج135/20.

(3) المرجع السابق، ج135/20.

(4) يُنظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج108/11.

ثانياً: أهم مقاصدها: من أهم مقاصد السورة[1]

1- بيان قدرة الله وعظمته في الخلق والإيجاد والعلم المطلق.

2- معالجة قضية التوحيد في نفوس المشركين، وتوبيخهم على إصرارهم على الشرك.

3- تسفيه كل من يتخذ آيات الله هزواً.

4- بيان تميّز الدين الإسلامي عن غيره.

5- ذكر وصايا لقمان الخالدة لابنه، تعليماً للناس وإرشاداً لهم.

6- بيان أهمية التقوى في حياة الإنسان وعاقبته ومصيره.

7- التحذير من فتنة الشيطان ودعواه.

المطلب الثالث: مناسبات تتعلق بالسورة[2]

أولاً: مناسبات بين اسم السورة وموضوعها الرئيس: يلاحظ أن العلاقة والمناسبة بين اسم السورة (لقمان) وموضوعها الرئيس واضح، [لأن السورة ذكرت قصة لقمان الحكيم ووصاياه.

ثانياً: المناسبة بين أول السورة وآخرها: يلاحظ أن سورة لقمان افتتحت بقوله تعالى: ﴿ **الم**﴾ [لقمان:1]، والتي تعتبر من الأحرف الهجائية التي لا يعلم معناها إلا الله ﷻ، وخُتمت سورة لقمان بذكر مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الروم): **أ-** كلا السورتين بُدئتا بنفس البداية ﴿**الم**﴾.

ب- قال تعالى في آخر السورة السابقة: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ**﴾ **[الروم: 58]، إشارة لكون القرآن معجزة، وقال في مطلع هذه السورة:** ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ **[لقمان: 2]**.

---

(1) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج127/21.

(2) يُنظر: المرجع السابق، ج124/21.

رابعاً: مناسبة السورة لما بعدها(سورة السجدة): خُتمت سورة لقمان بذكر مفاتح الغيب، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان:34]، وفي بداية سورة السجدة، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ [السجدة:6].

الفصل الأول

التوجيهات التربويّة العقديّة والتعبديّة والأخلاقيّة ووصايا لقمان لابنه من خلال سورة لقمان

المبحث الأول:
التوجيهات التربوية العقدية في سورة لقمان

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: تقرير عقيدة التوحيد، وإثبات البعث والنبوة، وهدم الشرك قمة الهداية

إنَّ أول هدف أراده القرآنُ الكريم عندما أوحي به إلى محمد ﷺ هو تغيير عقيدة الشرك والوثنية إلى عقيدة التوحيد لله ﷻ، لذلك نجد أنَّ الآيات القرآنية في العهد المكي قد ركزت على تقرير عقيدة التوحيد، وإثبات البعث؛ لتُهيِّئ هذا الإنسان وتبث في روحه وقلبه الطاقة والقدرة التي يستطيع بها أن يقوم بالمهمة التي خلق من أجلها وهي الخلافة في الأرض وعبادة الله الواحد الأحد.

فنجد أن آيات القرآن الكريم في كثيرٍ من المواضع قد حددت سمات المؤمنين الصالحين لهذا الدور ووصفت سلوكهم في جميع مجالات الحياة.

فنجد مثلا : سمات تتعلق بالعقيدة وهي (الإيمان بالله، وبرسله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر، والبعث والحساب، والجنة والنار، والغيب، والقدر).

وسمات تتعلق بالعبادات وهي (عبادة الله، وأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وتقوى الله، وذكره واستغفاره، وقراءة القرآن).

وسمات أخرى في مجالات متعددة .[1]

ويلاحظ أنَّ هذه السمات لا يستقل بعضها عن بعض في شخصية المؤمن بل نجدها تتفاعل فيما بينها وتتكامل لتشترك جميعها في توجيه شخصية المؤمن وسلوكه في جميع مجالات حياته.

لكن نجد أن السمات العقدية المتمثلة في عقيدة التوحيد والإيمان بالبعث والحساب ويقينه بمراقبة الله الدائمة له، تلعب الدور الرئيس في توجيه سلوك الإنسان وتشكيل شخصيته.

لذلك كانت أول الوصايا التي أوصى بها لقمان الحكيم ابنه ﴿ **يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[لقمان:13] وصية والد محب لولده، والد لا يريد لولده إلا الخير، علم

(1) انظر: القرآن وعلم النفس، نجاتي، ص241.

أنَّ التوحيد وعدم الشرك قمة العقائد، وأنَّ من واجبه كمربي أن يغرس هذا الأصل الاعتقادي في نفس ولده، فقدمه على كل الوصايا الأخرى، بل وجعل الشرك بالله أعظم أنواع الظلم.

ولذلك كانت صفة المحسنين الذين اهتدوْا بهدي القرآن الكريم، والذين انغرس في قلوبهم التوحيد لله ﷻ فتخلصوا من كل أنواع العبودية لغيره ﷻ ، وشعروا بكمال العبودية والربوبية والخضوع والمحبة لله تعالى، أنهم ترجموا الإيمان الذي وقر في القلوب، والشوق للقاء الله الذي شعرت به الأرواح إلى أعمالٍ قامت بها جوارحهم، كانت دلائل ظاهرة على الإيمان وصدق الأقوال وشفاء للأرواح وتزكية للأنفس قال تعالى ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ [لقمان:4].

فكانوا هم " المقيمون للصلاة " على صفتها الشرعية التي أمروا بها بأركانها وشروطها، فكانت الصلاة صلتهم ورابطهم الروحي بخالقهم ﷻ، والمكان الذي يلتقي فيه المحب بمحبوبه، فتخضع الجوارح وترتقي الدعوات لخالقها، وتبث القلوب ما تشعر به من الشوق والحب والحاجة، فتهدأ الأرواح وتستقر، وتصفو الأنفس وتتخلص من شوائب قد علقت بها، فتخرج مستمدة طاقة إيمانية وروحية هي الوقود للاستمرار في رحلة هذه الحياة.

وهم المؤتون الزكاة من أموالهم كما أمروا وبكل طواعية، فريضة من الله وحقا لإخوانهم، بها تتطهر الأنفس مما جبلت عليه من الشح والبخل وحب التملك.

بها يرتقي فهم المؤمن لحقيقة وجوده في هذه الحياة الدنيا؛ ليستقر في نفسه وقلبه أنَّه هو وما يملك ملك لخالق عظيم متصرف مدبره، فهذا المال الذي يملكه إنما هو مستخلف فيه يتصرف فيه كما أمره مولاه سبحانه، فيتحقق بذلك معنى الإيمان وكمال العبودية والتوحيد لله تعالى، وإعمار الأرض وفق منهج الله وشرعه.

وما دفع هؤلاء المؤمنين المحسنين إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها من الشعائر والعبادات سوى أنهم ﴿ **وهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ [لقمان:4] أي يؤمنون إيمانا جازما لا يخالطه شك بعقيدة البعث والحساب[(1)].

ولولا هذا الإيمان لضلوا الطريق، ولزاغت الأقدام، لأن استشعارهم لرقابة الله تعالى في كل أمورهم وإيمانهم بأنهن محاسبون مجازون في الآخرة كان الموجه لأعمالهم وأقوالهم في الحياة الدنيا. فمن كانت هذه صفاتهم كانوا في الحياة الدنيا على هدى من ربهم، وكانوا في

(1) يُنظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج2/ 447.

الآخرة من الناجين الفائزين، وهذا قمة الهداية والفلاح، وقد بين الله هذا الفلاح بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان:5].

المطلب الثاني: بيان حال الضالّين الأشقياء وحال الأبرار السعداء في الآخرة

افتتح الله تعالى آيات السورة الكريمة بذكر صنف الأبرار السعداء من الناس وصفاتهم وذكر مآلهم وهو الفلاح، قال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان:5]، عطف ذلك بذكر حال الصنف المقابل ألا وهم (الضالين الأشقياء المستكبرين)،

فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [لقمان:6].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[لقمان:7].

فكما أن فريق الأبرار السعداء انتفعوا بهدي القرآن الذي أخذوا به وساروا على دربه، فكذلك هناك " نوع آخر من الناس ينتفعون بالضلال ويستفيدون منه، وإلا ما راجت سوقه ولما انتشر بين الناس أشكالا وألوانا، لذلك نجد للضلال فئة حظهم أن يستمر وينتشر لتظل مكاسبهم، ولتظل سيادتهم على الخلق وعبوديتهم لهم واستنزاف خيراتهم، وطبيعي إن وجد قانون يعيد توازن الصلاح للمجتمع لا يقف في وجهه إلا هؤلاء يحاربونه ويحاربون أهله ويتهمونهم ويشككون في نواياهم، بل ويواجهونهم بالسخرية والاستهزاء مرة، وبالتعدي مرة أخرى..."[1].

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي هذه الفئة من الناس الذين يقفون في وجه الدعوة إلى الإيمان ويحاربون الحق، المستفيدون من الضلال، فهم ﴿مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾، "يشتريه بماله، ويشتريه بوقته، ويشتريه بحياته، يبذل تلك الأثمان الغالية في لهو رخيص.."[2].

ومعنى (لهو الحديث): قال العلماء :هو" كل ما يلهي عن مطلوب الله، وإن لم يكن في غير مطلوب الله لهوا"[3].

---

(1) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج11580/19.

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج5، 2784.

(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج5/ 11584.

وقال الزمخشري: " واللهو كل باطل ألهى عن الخير، و(لهو الحديث) نحو السمر بالأساطير، والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات المضحكة وفضول الكلام وما لا ينبغي "[1].

وقد ذهب العديد من الصحابة والعلماء إلى أن المقصود بلهو الحديث: الغناء والمزامير وآلات الطرب، ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن جرير الطبري عن ابن مسعود ﷺ أنه سئل عن الآية فقال: (والله الذي لا إله إلا هو- يكررها ثلاثا- إنما هو الغناء)[2].

لكن يرى الإمام الطبري-رحمه الله- أن المقصود بلهو الحديث كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله، مما نهى الله عن استماعه أو رسوله، لأن الله تعالى ذكره عام بقوله (لهو الحديث)

ولم يخصص بعضا دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك[3].

إذن من خلال النظر في أقوال العلماء، ترى الباحثة أن **المقصود بلهو الحديث هو كل الأحاديث والأفعال الملهية للقلوب والتي تصد عن طاعة الله سبحانه**، فدخل في ذلك كل لغو، وكلام محرم وأقوال وأفعال ترغب في الكفر والفسوق والعصيان، ومجادلة لنصرة الباطل ورد الحق، وسب وشتم، وغيبة ونميمة، واتهامات وشبهات للتشكيك في دين الله، ويدخل في ذلك أيضا الغناء الماجن ومزامير الشيطان، وكل ما يدخل في هذا المجال من محاولات لأعداء الإسلام وغزو فكري وثقافي لشباب المسلمين، كبرامج المسابقات الغنائية المنتشرة في الوقت الحاضر والتي تشغل عقول شريحة كبيرة من المسلمين نساء ورجالا، وغيرها من الأمثلة كثير خاصة في مجال الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، وما غرض هذا الصنف من الناس ﴿**مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾، إلا ﴿ **لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[لقمان:6].

إذن العلة لا تكمن فقط في إضلاله لنفسه، بل تتعداها إلى إضلال الغير، فيكون بذلك قد تحمل تبِعة الإثمين: ضلاله لنفسه، وإضلاله لغيره[4].

---

(1) الكشاف، الزمخشري، ج520/3.

(2) جامع البيان، الطبري، ج8/ 6547: حديث رقم 27866.

(3) ينظر: المرجع السابق، ج8/ 6549.

(4) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج11881/19.

وهؤلاء الضالون الأشقياء الذين يشترون لهو الحديث لا يكتفون بإضلال غيرهم عن الطريق المستقيم والمنهج القويم، بل يتعداها إلى السخرية والاستهزاء من أهل الحق وأقوالهم وأفعالهم وآرائهم ومنهجهم، ولا يتهاونون في التخطيط والتآمر ووضع كل المعيقات في طريقهم للصد عن سبيل الله تعالى وإحباط أهل الحق وتثبيطهم.

إذن ليكتمل إضلالهم لغيرهم، جمعوا بين إغواء الناس بلهو الحديث بأنواعه وبين القدح في الحق والطعن فيه والسخرية منه، فيقع في حبالهم الجاهل الذي لا علم له فيتحقق بذلك مقصدهم.

لذلك توعدت الآية الكريمة هذا الفريق من الناس بالعذاب المهين يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾[لقمان:6] أي أولئك الضالين المضلين الذين استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر [1].

ووصف العذاب هنا ب(المهانة) دليل على أن من العذاب ما ليس مهينا، بل ربما كان تكريما لمن وقع عليه العذاب، كالرجل الذي يضرب ولده ليعلمه ويربيه، فهذا يكون الغرض منه التطهير والعودة عن الذنب ، أما الإهانة تقتضي الأبدية والخلود[2].

وتستطرد الآيات الكريمة في وصف فريق الضلال والشقاء، فذكرت صفة بارزة فيهم، ولربما هي سبب رئيس في ضلالهم، وهي صفة الكبر.

قال تعالى: ﴿ **وإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا** ﴾[لقمان:7]، أي أنَّ هذا الذي اتخذ لهو الحديث وأقبل عليه ليضل عن سبيل الله ﷻ، إذا سمع آيات الله تتلى، منعه كبره من الاستماع، وكأنه قد أصابه ثقل في السمع ﴿**كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾[لقمان:7].

فهم كما وصفهم الله ﷻ في كتابه العزيز ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾[البقرة:7] ، فهؤلاء الذين أقبلوا على اللهو واللعب وأعرضوا عن الحق وسماعه واتخذوا آيات الله هزوا؛ لأنهم لا مصلحة لهم بذلك بل مصالحهم ومنافعهم وغاياتهم قائمة على امتلاك الناس ومحاربة منهج الله تعالى ودينه[3].

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج331/6.

(2) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11590.

(3) ينظر: المرجع السابق، ج19/ 11590.

لذلك استحقوا من الله ﷻ العذاب المهين، ثم جاءت البشرى بعدها بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[لقمان:7].

وكما هو معلوم في لغة العرب أنّ "(البشارة) لا تكون إلا في الخير، فهي: الإخبار بأمر سار لم يأت زمنه، أما البشارة بالعذاب فهي على سبيل التهكم بهم والسخرية منهم، واستخدام البشرى في العذاب كأنك تنقله فجأة من الانبساط إلى الانقباض، وفي هذا إيلام للنفس قبل أن تقاسي ألم العذاب"[1].

إذن جمع الحق سبحانه وتعالى لهؤلاء بين العذابين (عذاب مهين ثم عذاب أليم).

وفي المقابل وبعد ذكر مآل الضالين الأشقياء، تذكر لنا الآيات مآل الأبرار السعداء في الآخرة وهذا من سمات الأسلوب القرآني، ذكر الشيء ومقابله ليتضح المعنى ويبرز[2]. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[لقمان:8]، ففريق الأبرار السعداء الموحدين والمهتدين، الذين آمنوا بربهم حق الإيمان فلم يكن إيمانهم مجرد قول أو ادعاء، بل اكتمل باليقين الصادق والعمل الصالح المصدق، فاستحقوا من الله ﷻ أجزل الثواب وأعظمه ﴿ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾[لقمان:8]، أعد الله لهم جنات فيها من النعيم المقيم الدائم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [لقمان: 9] .

وأيّ وعدٍ كوعد الله تعالى، وعد متحقق لا محالة؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، وهو العزيز القاهر لكل شيء والحكيم فيما يشرع على عباده.

المطلب الثالث: الاستدلال بخلق السموات والأرض على وحدانية الله تعالى

لقد دعا دين الإسلام عامة، والقرآن الكريم خاصة، إلى المنهج العلمي القائم على اتباع الأدلة والبراهين التي تثبت صحة الأشياء وصدقها.

وقد اشتمل القرآن الكريم على الاستدلال على صحة عقيدة التوحيد، وأنّ هذه العقيدة هي عقيدة الحق المبين، وما سواها شرك ووثنية، وبما أنَّ الله سبحانه وتعالى قد افتتح هذه السورة الكريمة بالتأكيد على حكمة هذا الكتاب، وأنه سبيل الهداية والرحمة للمؤمنين، وطريق السعادة والنجاة من الضلال والشقاء، كان لابد أن يشتمل على ما يؤكد هذا الأمر، فكان من

(1) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11592.

(2) ينظر: المرجع السابق ص 11593.

ذلك دعوته إلى ما يؤكد صحة هذه العقيدة، ويزيل من نفس المؤمن كل ريب وشك ويصل بقلبه إلى بر الأمان والاستقرار والطمأنينة واليقين، فدعاه إلى نوع من الأدلة التي خاطب بها القرآن الكريم قلب وفكر المؤمن، وهي الأدلة الحسية الكونية والتي يستخدم فيها القرآن الكريم الكائنات الحية للدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وسعة قدرته، وعظيم حكمته.

فإذا تفكر هذا الإنسان بعقله الذي ميزه الله به، ونظر وتدبر في خلق هذه الكائنات من حوله، ومدى ما تتميز به من دقة وإتقان، توصل من خلال ذلك إلى أنه لابد لها من خالق واحد عظيم قادر.

فالتدبر والتفكر في مخلوقات الله عبادة من أعظم العبادات التي تقود الإنسان إلى اليقين والإيمان، بوحدانية الله وقدرته على البعث، فدليلي الخلق والإتقان من أعظم الأدلة العقلية التي تؤدي إلى ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–فيما يحصل به اليقين: "أما كيف يحصل اليقين ؟ فبثلاثة أشياء: أحدها: تدبر القرآن، والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق، والثالث: العمل بموجب العلم قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[فصلت:53]

فبين سبحانه أنه يُري الآيات المشهودة ليبين صدق الآيات المسموعة مع أن شهادته بالآيات المسموعة كافية"[1].

لذلك نجد أنَّ القرآن الكريم قد زخرت آياته بالدعوة إلى التفكر في آلاء الله ومخلوقاته المتنوعة في هذا الكون، ويمكن أن نعتبر ذلك دعوة عملية للإيمان بالله وحده.

ومن هذه الآيات ما ورد في سورة لقمان في مواضع عدة من السورة، فنجد قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [لقمان:10]

فيلاحظ هنا أن الله تعالى بعد أن افتتح السورة الكريمة بالتنبيه إلى التفكر في إعجاز القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿**الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً**

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج330/3.

لِلْمُحْسِنِينَ (3)﴾ [لقمان3-1:]، حيث إنَّ الحروف المقطعة فيها إشارة إلى عجز الأدباء والبلغاء عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، وهذا من أعظم الأدلة على أنه تنزيل من الواحد الأحد، جاء بعد ذلك التنبيه إلى دلائل قدرة الله سبحانه في هذا الكون لإقامة الأدلة والبراهين على وحدانيته.

إذن هي دعوة إلى التأمل في آيات الله المقروءة والمسموعة أولاً، ثم ثانياً الآيات المشاهدة والمحسوسة في هذا الكون من سماواتٍ وأرض، وجبالٍ رواسي، وماءٍ أنزله الله من السماء فأنبت به الزرع الكريم.

ثم أعقب ذلك تحدي الله للمشركين بقوله سبحانه : ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[لقمان:11]

أي هذا الذي تشاهدونه من مخلوقات الله تعالى، فانظروا في السموات والأرض وتفكروا وأخبروني ماذا خلقت هذه الآلهة العاجزة التي تعبدونها من دون الله، ومع ما يتضمنه السؤال من التحدي، نرى فيه سخرية واستهزاء بالكافرين، وبيان عجز آلهتهم، يرافقه دعوة إلى توحيد الله.

ثم تستطرد الآيات في نفس السياق، فبعد أن حذر الله سبحانه من الشرك –في وصايا لقمان الحكيم– ذكر الأدلة الساطعة والبراهين القاعة على وحدانيته، ونبه بالصنعة على الصانع، وماله من نعم لا تحصى من تسخير السموات بما فيها من الشمس، والقمر والنجوم والسحاب، وتسخير الأرض بما فيها من الحيوان والنبات والمعادن والبحار، وغير ذلك من الأدلة الشاهدة بوحدانيته(1).

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾[لقمان:20]، وقال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[لقمان:25]

يرشد الله تعالى عباده إلى التفكر في آلائه ونعمه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب والعقول النيرة المتدبرة .

---

(1) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج474/2.

إذن تخلص الباحثة من ذلك إلى أن الآيات الكونية جميعها من سموات وأرض وما فيهما، لم تذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، إنما لنستدل بها إلى عقائد كبرى كالتوحيد والبعث والنبوة و.. الخ

وأنَّه لا قصور في الأدلة والحجج الإلهية، وإنّما ضلال العقول بالشرك والمعاصي هو المانع من الاهتداء[1].

لذلك قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[لقمان:25].

أي لئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من كفار مكة مَنْ خلق السموات والأرض؟، سيضطروا إلى الاعتراف الصريح بأنَّ الله هو خالق هذا الكون، قل الحمد لله (أي على ظهور الحجة عليكم)؛ لأنَّ دلائل الإيمان واضحة للعيان، بل أكثرهم لا يعلمون(أي لا يفكرون ولا يتدبرون لذلك لا يعلمون)[2].

وسأبين في المطلب التالي بإذن الله أهم مظاهر قدرة الله، وكبريائه وجلاله وعلمه وصفاته، من خلال آيات سورة لقمان.

المطلب الرابع: بيان مظاهر قدرة الله تعالى وكبريائه وجلاله وعلمه وكمال صفاته وكلماته التامة

ذكرت في المطلب السابق أن آيات سورة لقمان كغيرها من سور القرآن الكريم دعت إلى الاستدلال بخلق السموات والأرض وما فيهما على وحدانية الله ﷻ وذلك من خلال النظر والتدبر والتفكر في خلق السموات والأرض وما تشتملان عليه من المخلوقات والكائنات والتي تعتبر من أهم المظاهر على قدرة الله تعالى، وكبريائه وجلاله وكمال صفاته، وذلك بعدما ختم الآيات الأولى من السورة بصفتي العزة والحكمة، قال تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [لقمان:9].

"ولما ختم بصفتي العزة- وهي غاية القدرة- والحكمة- وهي ثمرة العلم- دل عليها بإتقان أفعاله وإحكامها "[3]. فكان آية الحكمة، وآية القدرة، وبرهان هذه القضايا التي اشتملت

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج715/2.

(2) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج476/2.

(3) يُنظر: تفسير نظم الدرر، البقاعي، ج152/15.

عليها من دعوة إلى التوحيد وغيرها، هذا الكون الكبير الذي لم يستطع أحد من البشر وغير البشر أن يدعي أنه خلقه .

فهذا الكون الهائل بما يشتمل عليه من مخلوقات، وما يتصف به من دقةٍ وإتقان، لا يملك الإنسان الضعيف أمامه إلا أن يسلم بوحدانية الخالق العظيم[1].

ومن تدبر آيات السورة، سيلاحظ أن السورة الكريمة تنتقل به من مظهر رائع إلى مظهر أروع يبرز قدرة الله ﷻ وكمال جلاله وعلمه وصفاته وكلماته التامة.

وافتتحت السورة هذه المظاهر بقوله تعالى ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [لقمان:10] .

فخلق السموات من أعظم مظاهر قدرة الله تعالى، فهي على كِبرها وعظمتها واتساعها وعلوّها ، ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ أي لا نرى لها عمداً، وقوله (ترونها) يحتمل معنيين ، الأول: أنها محمولة بلا عمد، والثاني: أن لها عمد ولكن لا نراها بقدراتنا ومقاييسنا البشرية القاصرة.

وفي كلا الحالين إن دل ذلك على شيء، فلا يدل إلا على قدرة الخالق سبحانه.

"ولما ذكر العمد المقلة، أتبعه الأوتاد المقرة ، فقال تعالى ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ**﴾ أي التي أنتم عليها ، جبالا ﴿**رَوَاسِيَ**﴾ .

المطلب الخامس: توعد الله للمشركين بالبعث والحساب، وتهديدهم بالعقاب الشديد.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24)**﴾ [لقمان:24-23].

تخاطب الآيات الكريمة محمدا ﷺ، بعد أن قارنت الآيات السابقة من السورة بين فريقي المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء، وصفات كل منهم، وبينت كذلك ضرورة إسلام الوجه لله والاستمساك بالعروة الوثقى وأن لله عاقبة الأمور، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[لقمان:22].

---

(1) يُنظر: في ظلال القرآن، قطب، ج2785/5.

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في مواضع أخرى، قال تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [الكهف:6].

وقال تعالى: ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء:3].

وغير ذلك من مواضع العتاب الجميل الذي نفهم منه أن مهمة نبينا محمدﷺ إنما هي البلاغ فحسب[1].

ثم تستطرد الآية لتبين عاقبة هؤلاء الكافرين، قال تعالى: ﴿ **إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا**﴾ تهديد ووعيد يطرق أبواب قلوبهم أنه لا مفر من قبضة الله العزيز الجبار، فمهما كانت أفعالهم ومهما عظم فإلى الله مرجعهم وحسابهم.

تقرير لعقيدة البعث التي أصر الكافرون على إنكارها والتي أكد عليها القرآن الكريم في مواضع عديدة وبأساليب شتى.

فلا تحزن يا محمد، إلينا لا إلى غيرنا ، مرجعهم أي رجوعهم بالبعث يوم القيامة، وقد يكون المعنى(إلينا مرجعهم) أي مصيرهم إلى الله في الدنيا والآخرة[2].

لأن رجوعهم إلى الله تعالى في الآخرة، لا يمنع أن يوقع عليهم العذاب في الدنيا، بالقتل أو الهزيمة والتشتت، وغيرها من صور العذاب.

﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ أي "بحديث النفس الكائن في الصدور، كما أنه عليم بما في غيرها فمجاز عليه"[3].

و"لأننا نحيط علما بداخل النفوس، فكيف بظواهر الأعمال"[4]. فاللهﷻ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وتستطرد الآيات الحديث عن مصير هؤلاء الكافرين، قال تعالى: ﴿ **نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [لقمان:24].

---

(1) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج11710/19.

(2) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج162/21.

(3) التفسير المنير، الزحيلي، ج162/21.

(4) المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ص615.

أي نمتعهم في هذه الدنيا بما فيها من متاع وزخرف وأموال وبنين وغير ذلك ، والأصل ألا يغتر المؤمن أو ينخدع بما يراه من تمتع الكافر في الحياة الدنيا، أو يظن أن ذلك دليل رضا من الله ﷻ لأن الله سبحانه لا يمنع عطاءه عن أحد، قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ [الاسراء:20]، وإنما يعطي هؤلاء لاختبارهم واستدراجهم.

ولكن مهما كان كم المتاع أو كيفيته، فهو قليل ولو كان بمقدار أعمارهم في الدنيا ﴿**نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا**﴾ ، ثم ماذا بعد ذلك؟؟ ﴿ **ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [لقمان:24].

أي نلجئهم وندفعهم إلى عاقبتهم، لا يملكون لذلك ردا ولا اختيارا ، فلا يجدون إلا العذاب الغليظ أي الشديد القوي القاسي، الذي لا يمكن الإفلات منه.

فشتان بين عاقبة هؤلاء الكافرين المنكرين الجاحدين، وبين عاقبة من أسلم وجهه لله وهو مؤمن ، واستمسك بالعروة الوثقى، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)**﴾ [يونس:69-70].

المطلب السادس: تناقض المشركين واضطرابهم في السراء والضراء

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾ [لقمان :32].

إن الإيمان حقيقةٌ فطرية تولد مع كل طفل، ثم تنمو أو تخبو حسب البيئة التي يعيش فيها الإنسان، لأن الله ﷻجعل للهداية أسباب الفطرة ثم العقل ثم الرسل، فغرس في فطرة الإنسان شعورا يقود قلبه إلى الإيمان، ويبرز هذا الشعور في لحظات الشدة في لحظة انقطاع أسباب النجاة، حيث يدفع قلبه إلى التوجه إلى الله تعالى بالدعاء، فتستيقظ فطرته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّﷺ (كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)[1].

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين، ج100/2: حديث رقم1385.

وينقسم الناس في ذلك إلى فريقين، فريق المؤمنين الصادقين الصابرين الشاكرين لله في السراء والضراء، **قال ﷺ:(عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ[1].**

فهذا حال المؤمن، أما حال الكافر فقد وصفته آيات القرآن الكريم في أكثر من موضع في سور القرآن الكريم ، نذكر بعضها:

1- قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)**﴾ [يونس:22-23]، فهؤلاء الكافرين إنما يعبدون الله على حرف.

2- قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: 67].

3- ومما ورد في هذا المعنى في سورة لقمان ، قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾ [لقمان:32].

فهذه الآية تصف لنا حقيقة تناقض المشركين في السراء والضراء، متمثلة في موقف شدة قد يمر به الإنسان، ولا منقذ له ولا منجي إلا الله ﷻ ، ومن أشد هذه المواقف إذا كان الإنسان في عرض البحر فعلت الأمواج كالجبال واشتد الريح ، وضعفت قوة هذا الإنسان واستغاثت بقوة عظمى، هي قوة الخالق ﷻ ، وهذا ما كان يمر به المشركون أحيانا.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا غَشِيَهُمْ**﴾ أي إذا غطاهم واحتواهم ، ﴿**مَوْجٌ**﴾ عظيم هائل واستعلى مغلقا عليهم ﴿**كَالظُّلَلِ**﴾ أي ما يظلل الإنسان كالسحب والجبال ، ﴿**دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ أي توجهوا إلى الله الواحد الأحد بالدعاء، حاصرين له التوجه والانقياد نحوه بلا ميل منهم إلى الأسباب والوسائل العادية، متضرعين نحوه داعين إليه، ﴿**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ**﴾ بفضله وقوته

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الآداب/ باب المؤمن أمره كله خير، ج8/227: حديث رقم 7610.

سالمين غانمين، فمنهم حينئذ ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ معتدل في قصده نحو الحق، ومنهم مائل عن الاعتدال وهو الجاحد المنكر بآيات الله ومظاهر قدرته الدالة على كمال صفاته، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ غدار ناقض للعهد الفطري، كفور بآلاء ونعم الله المتتالية التي لا تعد ولا تحصى[1].

المطلب السابع: وجوب تقوى الله ﷻ وخشيته وعدم الاغترار بالحياة الدنيا

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان:32].

جاء هذا النداء الرباني للناس أجمعين، بعد جولة من الآيات والمظاهر التي أثبتت وحدانيته سبحانه، وبعد أن أثبتت الآية السابقة أن هذا الإنسان مهما لوثته متغيرات بيئته، فإنه مفطور على الإيمان بالله ﷻ وهذه الفطرة تبرز من حين لآخر لتعلن أنه لا إله ولا رب سواه ﷻ، وأن هذه الخليقة وهذا الكون بما فيه يخضع تحت راية الوحدانية، راية لا إله إلا الله.

لذلك جاء النداء العلوي من الخالق الأعظم للمخلوق بأمر إلهي ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ، أمر يفيد الوجوب والإلزام للناس والبشر أجمعين، مؤمنهم وكافرهم، فمن أطاع وآمن واتقى فله الحسنى ومن عصى وكفر فليس له إلا العذاب الأليم.

لذلك "يختلف الأمر بالاتقاء في المؤمن والكافر، يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله، وفي المؤمن اتقوا الله في جميع ما يأمركم وينهاكم واتقوا عبادة غير الله"[2].

والحديث عن التقوى يطول ، ولكنها تبتدئ من الاعتراف بوجود الخالق ووحدانيته، وتصديق رسوله ﷺ ، وتنتهي باجتناب ما نهى الله ﷻعنه ، وامتثال وطاعة ما أمر به في الظاهر والباطن وسائر الأحوال[3] .

فالتقوى إذن أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية وحاجزا وذلك بفعل الواجبات وترك المحرمات. فهي السبيل للوقاية، هي السبيل للارتقاء في الكرامة والدرجات عند الله ﷻ، قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

---

(1) ينظر: الفواتح الإلهية، النخجواني، ج137/2.

(2) تفسير الماتريدي، الماتريدي، ج8/ 321.

(3) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج193/21.

التقوى هي السبيل للسعادة والأمن والأمان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:62]، وهي السبيل للرزق، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [الطلاق:2].

وهي هي خير زاد، قال تعالى: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة:197].

﴿**وَاخْشَوْا يَوْمًا**﴾ أي خافوا عذاب وأهوال يومٍ شديدٍ، يوم ترجعون فيه إلى ربكم، واقع لا محالة، هو يوم القيامة.

﴿**لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ**﴾ أي لا يقضي والد عن ولده شيئا ولا ينفعه في هذا اليوم فلا يحمل شيئا من سيئاته ولا يعطه شيئا من حسناته وطاعته.

﴿**وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾ وكذلك الولد لا يقضي عن والد شيئا، فكل مشغول في نفسه.

"ومعنى التوكيد في لفظ المولود، أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته، فضلا عن أن يشفع لمن فوقه من أجداده، لأن الولد يقع على الولد وولد الولد، بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك"[1].

وكذلك ذكر الوالد والولد هنا لعمق العلاقة والصلة بينهما، ولأنهما أشد محبة ونفعا لبعضهما البعض في الدنيا، فيعلم أن غيرها أولى بهذا النفي ، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ...**﴾[عبس:34-35] [2]. فلا شفاعة في هذا اليوم إلا بإذنه سبحانه.

وأيضا لقطع طمع من توقع من المؤمنين أن يشفع أباه الكافر في الآخرة، ولذلك قالوا إن هذا الخبر خاص بالكفار، فإن أولاد المؤمنين وآباءهم ينفع بعضهم بعضا، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كسب رهين**﴾ [الطور:21].

إذن يستنتج من خلال الآية ، وتفسير العلماء، وجوب تقوى الله ﷻ وخشيته، مالك الأمر كله، وضرورة الإيمان الصادق والعمل الصالح، فهو طريق النجاة الوحيد في الآخرة.

---

(1) الكشاف، الزمخشري، ج3/ 532.

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج193/21.

﴿ **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ أي إن وعد الله بالبعث والحشر، والثواب والعقاب، كائن وواقع لا محالة؛ لأن الله لا يخلف وعده، والوعد يأتي بالخير والشر، بينما الوعيد في الشر خاصة(1).

ثم بعد أن أكد سبحانه ثبوت ذلك اليوم بما فيه ، حذرهم من أمرين:

1- ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ أي لا تخدعنكم الحياة الدنيا بزخرفها وزينتها ومتاعها عن الاستعداد للآخرة والعمل لها ،للخلاص من عذاب ذلك اليوم ونيل رضا الله ﷻ ودخول جنته.

2-﴿ **وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ ولا يغرنكم الشيطان بوساوسه فيخدعكم بالأماني والوعود الكاذبة فيغريكم ويمنّيكم بحلم الله ومغفرته وعفوه، ويزين لكم المعصية، وينسيكم العمل للآخرة والتزود لها بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [النساء:120].

" وقيل الغرور الدنيا، وقيل تمني المغفرة في المعصية ،والأماني الباطلة برحمة الله ، أو اعتماده على شفاعة شافع، أو كونه مسلما محبا لله ورسوله بقلبه دون عمل "(2).

وقد رد القرآن الكريم على هذه التمنيات بقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [النساء:123].

المطلب الثامن : مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان: 34].

بعد أن أكد سبحانه في الآية السابقة على وجوب تقوى الله ﷻ والخوف من يوم القيامة وعذابه، وعدم الانشغال بالحياة الدنيا وزينتها، بل الاستعداد والعمل ليوم البعث والحساب، أردف ذلك بالتأكيد على أن علم الساعة من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله وسيأتي بغتة دون علمٍ بوقته ؛ ليكون المؤمن على استعدادٍ دائم وتوبة متجددة للقاء الله ﷻ .

---

(1) ينظر: حدائق الروح والريحان، الشافعي، ج302/22.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج178/21.

لذلك ختمت السورة بذكر خمس من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، ولا يعلمها أحد إلا بعد إعلام الله له بها:

1- ﴿ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي علم وقت الساعة أي يوم القيامة، لا يعلم وقته وميعاده إلا الله ﷻ، لا من الملائكة المقربين، ولا من الأنبياء المرسلين، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:187].

وقد تكون الساعة لا تعني القيامة فحسب ، لأن لكل منا ساعته ومن مات فقد قامت قيامته بانقطاع عمله، وعمر الدنيا بالنسبة للإنسان بمقدار عمره فيها(1).

2- ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ والغيث هو المطر، أي لا يعلم وقت نزول المطر ومكانه المحدد لنزوله إلا الله ﷻ، ثم إذا أمر الله به، علمه الملك الموكل بذلك ومن شاء من خلقه سبحانه.

وقد نسمع مع تقدم العلم ادعاء البعض معرفة ما يتعلق بالأمطار والرياح ودرجات الحرارة من الأرصاد الجوية، مما ترصده الأجهزة الحديثة المتخصصة وتعرف بعض المعلومات المتعلقة بذلك وقد تصح، لكن لا يمكن أن نعتبر ذلك من الغيب، لأنه قد يحدث نقيضه وتتغير حساباتهم، بالإضافة إلى أن معرفة ذلك يكون قبل مدة قريبة بعد ملاحظة اتجاهات الرياح والمنخفضات(2).

3- ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أي ما في الأرحام من الأجنّة وما يتعلق بها من صفات وخواص وطباع وذكورة وأنوثة، وشقاء وسعادة، وتمام الخلقة ونقصانها.

وكذلك مع تطور العلم والأجهزة الحديثة تطورا هائلا أصبح من الممكن رؤية الجنين وتحديد نوعه وجنسه، ورغم ذلك سيظل ما في الأرحام من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، لأن معرفة الإنسان لذلك كان بعد تمام الخلقة وبواسطة التجربة، ولكن الله ﷻ يعلم ما في الأرحام قبل أن تحمل الأم به، وستظل أحوال أخرى كثيرة مجهولة للعلماء لا تعلم إلا بعد الولادة(3).

4- ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ وما هنا نافية، أي لا تدري نفس ماذا تكسب من أمر دينها ودنياها، من خير أو شر، من رزق قليل أو كثير، لأنها لا تملك عمرها لغد.

---

(1) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج11763/19.

(2) ينظر: المرجع السابق، ج11763/19، ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج179/21.

(3) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 179، تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج11768/19.

ويلاحظ أنه عندما تحدث عن العلم أسند العلم إلى اللهﷻ ، وأسند الدراية للنفس؛ لما في الدراية من معنى الحيلة أي لا تعرف وإن أعملت حيلتها، ولذا وصف الله بالعلم، ولا يوصف بالداري[1].

5- ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كذلك نفى أن تدري نفس كائنة بأي مكان ينتهي أجلها ويكون موتها ، وربما أقام الإنسان في مكان لا ينوي مفارقته إلى موته، ثم يدفن في مكان لا يعلم عنه شيئا.

وقد ورد في السنة ذكر هذه الغيبيات الخمس في عدد من الآثار عن النبي ﷺ منها ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللهﷺ :**(مفاتح الغيب خمس ، ثم قرأ :إن الله عنده علم الساعة....)**[2]

"ولما خصص هذه الأشياء، عم بعلمه جميع الأشياء، فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر "[3].

ومعلوم في العقيدة الإسلامية أن الإيمان بالغيب أول أجزاء الإيمان، وشرط أساسي لصحة الإيمان عند المؤمن، فقد قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة:3].

فأول وصف للمؤمنين هو الإيمان بالغيب، فهؤلاء المؤمنون لا تستولي عليهم مادة الحياة، "والإيمان النافع هو الإيمان بالغيب" [4].

وإن الغيبيات لا تقتصر على هذه الأمور التي ذكرتها الآية الكريمة، فمن الغيب ما علمناه وأخبرنا به عن طريق الوحي، وكثير من الغيب لا نعلمه، ولا يعلمه إلا الله ﷻ.

إذن لماذا خص الله سبحانه هذه الأمور الخمس بالذكر دون غيرها في الآية ؟؟

"خص هذه الأمور الخمسة بالذكر لأن الإنسان كثيرا ما يسأل عنها، فهي موضع اهتمامه وفضوله، وكان أهل الجاهلية يسألون المنجمين عن هذه الخمسة، زاعمين أنهم يعرفونها، وقد

---

(1) ينظر: المنير، الزحيلي، ج180/21، والبحر المحيط، الأندلسي، ج425/8.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير/ باب سورة (الم غلبت الروم)، ج1793/4: حديث رقم 4500.

(3) تفسير السعدي، السعدي، ص653.

(4) القواعد الحسان، آل سعدي، ج126/1.

روى الإمام أحمد في مسنده **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)**[1]

والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور."[2]

إذن من خلال ذلك، يتبين مدى سعة علم الله تعالى، فهو علم مطلق لا حدود له، والاطلاع على علم الله، وكشف المغيبات التي قد استأثر بعلمها، أمر لا يمكن أن يصل إليه مخلوق مهما بلغت مكانته ومحبته عند الله ﷻ فلا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح ،لأن ذلك خارج عن حدود قدراتهم.

أما المعجزات والكرامات التي نراها تجري على أيدي الأنبياء والمرسلين والأولياء، فهؤلاء لم تصدر عنهم هذه الأمور، ولم يطلعوا عليها إلا بإرادته ﷻ [3].

وأن ادعاء معرفة الغيب كذب وضلال، وأن كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس فهو طاغوت يجب لعنه ومعاداته[4].

قال تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن:26].

المطلب التاسع: تحريم التقليد الأعمى والمجادلة بغير علم.

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21)** ﴾[لقمان:20-21].

بعد جولةٍ من آيات السورة الكريمة، تم استعراض عدد من مظاهر قدرة الله سبحانه وآلائه ونعمه على عباده، وكان منْ بينها قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي**

---

(1) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، مسند أبو هريرة، ج331/15: حديث رقم 9536، إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) حدائق الروح والريحان، الشافعي، ج22/ 308.

(3) ينظر: الفواتح الإلهية، النخجواني، ج2 /139.

(4) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج2/ 727.

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:20]، أثبتت هذه الآيات وحدانية الله ﷻ، وأنَّه الخالق الرزّاق، المتصف بصفات الجلال والكمال، والمتفضل على عباده بكلِّ أنواع النعم، كان منْ واجب هذا الإنسان الضعيف أنْ يؤديَ حق خالقه المنعم عليه بالطاعة والمحبة والشكر والانقياد، لكنْ يأبى فريقٌ منَ الناس إلا أنْ ينكر حق خالقه ومولاه ويجحد نعمه، ويثبت غيره إما إلهاً، أو منعماً، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾**[لقمان:20]، أي فريقٌ منَ الناس منكرون جاحدون، ﴿**يُجَادِلُ فِي اللَّهِ**﴾ أي في توحيد الله وصفاته وإخلاص العبودية له، يجادل في البعث وإرسال الرسل، يشكك في ذلك ويطعن، وهو مع ذلك جاهل لا علم له ولا حجة معه، ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ أي بغير دليلٍ معقول، أو مرجعٍ، أو حجةٍ صحيحة، فهو لمْ يؤته الله علماً، ولم يتبع نبياً مرسلاً يهديه السبيل، ولا كتاباً بيناً واضحاً ينير له الطريق. وهذا هو الجدل المذموم، الذي يكون الغاية منه تقرير الباطل بعد أنْ ظهر الحق.

وقد حرَّم القرآن الكريم الجدل القائم على الجهل وعدم العلم، وأشار في مواضع عدّة إلى ضرورة المعرفة بالموضوع للوصول إلى الحقّ، ونهانا عن إبداء الرأي أو الكلام فيما ليس لنا به علم، ودون دليلٍ أو برهان، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**﴾ [الحج:3]، وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر:35][1].

إذن يفهم من ذلك أنّ الجدل بعلمٍ وبينة وهدى، وللوصول إلى الحق، جائز، بل قد يكون لازماً.

وليس لهؤلاء المجادلين حجة إلا اتباع الآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [لقمان:21]، إذن هم اختاروا أنْ يعطلوا ما ميزهم الله تعالى به، وهو العقول، محل الفكر والفهم والتدبر، وأداة الإرادة والاختيار، فهؤلاء المجادلين الجاحدين ﴿ **إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ أي ما أنزل على رسوله من الشرائع والهدى، كان ردهم ﴿**بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ أي فيما اعتقدوه وآمنوا به من دينٍ وشرائع، فكانت حجتهم في عدم اتباع شريعة الله المطّهرة وما أتى به محمدﷺ وأمرهم به هي اتباعهم لِمَا وجدوا عليه آباءهم، وتمسكهم بأفكار آبائهم وعاداتهم وتقاليدهم، أي التقليد الأعمى للآباء والأجداد، وهذا يعتبر من أهم العوامل في جمود تفكير كثيرٍ من الناس،

---

(1) ينظر: القرآن وعلم النفس، نجاتي، ص150.

فهم لمْ يكن منَ السهل عليهم التخلي عنها، وقبول دين التوحيد الذي دعا إليه الأنبياء والرسل[1]. ويعتبر ذلك منهم في غاية الشناعة والقبح ومجانبة الصواب وسوء التفكير، فها هو محمد ﷺ يدعوهم إلى طريق الهدى والخير، وهم يتمسكون بكلام وعقيدة آبائهم.

لذلك نرى أنّ القرآن الكريم قد رد عليهم منكراً متعجباً، يهزؤهم ويوبخهم ﴿**أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾، أي قل لهم يا محمد: أتتبعون آباءكم وتقلدونهم وتتعصبون لهم؟ وإنْ ظهر لكم أنّ الشيطان يضلهم ولا يقودهم إلا إلى عذاب جهنم وبئس المصير؟! وتتركون سبيل السعادة والنجاة؟ قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: 121] ، وقد ورد في القرآن الكريم وصف هذا الصنف من النّاس الذي يصر على التقليد الأعمى لآبائه وأجداده، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:170].وقال تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الأعراف:70]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [المائدة: 104]، وقال تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس:78]، وغير ذلك منَ الآيات والتي يستفاد منها حرمة التقليد الأعمى ومنعه إلا فيما يفيد، لذلك نجد أنّ ابن القيم–رحمه الله– يقول:" أيّها النّاس، في تلك الأدلةِ برهانٌ واضح على أنّ الله قد ذمّ في القرآن منْ عدل عن اتباع الرسل إلى ما ينشأ عليه من دين آبائه، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله، وهو أنْ يتبع غير الرسل فيما خالف فيه الرسل، وهذا حرامٌ باتفاق المسلمين على كلّ أحد"[2].

ورغم أنّ النصوص القرآنية قد جاء الحديث فيها عن فئة الضالين من الكفار والمشركين الذين رفضوا اتباع شريعة التوحيد، وتمسكوا بعقائد آبائهم الباطلة، إلاّ أنّني أردت أنْ أنوّهَ إلى أنّ التقليد الأعمى لم يقتصر على الإنسان الجاهليّ الذي كان يستند إلى ميراث آبائه وأجداده ليصنع لنفسه شخصية مزيفة، بل امتد ذلك إلى كل عصر، حتى وجدنا سفينتنا

---

(1) ينظر: القرآن وعلم النفس، نجاتي، ص148.

(2) مجموع الفتاوى، ابن القيم، ج260/19.

كمسلمين موّحدين، تغرق في خضّمِ هذا الجمود الفكريّ المتحجر، فأصبحنا نعاني من هذا المرض الجاهليّ والذي أصاب كثيراً منْ أبناء وبنات المسلمين، فكم منْ معطّلٍ منهم لنعمة العقل التي وهبه الله إياها، والتي ميزته وارتقت به، فنجده مقلداً لغير المسلمين في عقائدهم، وشعائرهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وسلوك حياتهم وأخلاقهم، منسلخاً عن هويته كمسلم دون أن يستشعر خطورة ذلك، تاركاً للشيطان وهوى النفس حرية تقييد هذا العقل وتعطيله، حتى أصبح كأنه كافر في هيئة مسلم.

فالمبدأ القائم على تقديس كل ما عليه الآباء والأجداد بشكل مطلق، نجد أن الإسلام يرفضه لأنّه ينفي العقل الإنساني، ويتعارض كذلك مع تطور البشرية، بل يدعو الإسلام إلى تحرر هذا العقل من العبوديّة المذلّة، فما انسجم من تراث الآباء مع العقيدة والعقل والمنطق، فلا بأس فيه، بل يجب الحفاظ عليه، وما تعارض فيجب حذفه؛ لأنه من التقليد الأعمى والجهل الذي حرمته الشريعة الإسلامية.

أهم التوجيهات التربوية المستنبطة من هذا المبحث:

في ختام هذا المبحث ترى الباحثة أن آيات سورة لقمان قد اشتملت على عدد من التوجيهات التربوية العقدية، من أهمها:

1- تقرير عقيدة التوحيد وهدم الوثنية والشرك.

2- توجيه المؤمنين إلى الانتفاع بهدي القرآن الكريم، والابتعاد عن لهو الحديث ليكونوا من الأبرار السعداء في الدنيا والآخرة.

3- الاستدلال بكتاب الله المنظور على وحدانية الله تعالى.

4- تهديد الله للمشركين بالعقاب الشديد يوم البعث والحساب.

5- حث المؤمنين على حفظ الفطرة السليمة.

6- وجوب تقوى الله تعالى وعدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا.

7- التحذير من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

8- تحريم التقليد الأعمى والمجادلة بغير علم.

المبحث الثاني

التوجيهات التربوية التعبديّة في سورة لقمان

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تلاوةُ القرآن وسماعُه مصدر الهدايةِ والرحمة والإرشاد والفلاح

إنّ القرآن الكريم هو حبل الله المتين، وقائد هذه الأمة الأمين، ودستور الأولين والآخرين، وبالحديث عنه وعن فضله افتُتحت آيات سورة لقمان الكريمة، فقال تعالى: ﴿ **الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3)**﴾ [لقمان:1-3]، ف ﴿الم﴾ هي من جنس الحروف المقطعة التي افتُتحت بها بعض سور القرآن الكريم، والتي فُسِّرت على أرجح الأقوال على أنَّها دلالةٌ على إعجاز القرآن الكريم، ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ أيْ آيات سورة لقمان هي جزء منْ آيات القرآن الحكيم، أيْ آياته محكمة لا خلل فيها ولا تناقض، ولا نقص أو عيب أو تعارض؛ لأنّها نزلت منْ عند الله الحكيم الخبير[1].

ووصف الكتاب هنا بالحكمة، يتناسب مع موضوع السورة واسمها، والذي تكرر فيه موضوع الحكمة ومعناها، وكذلك هذا الوصف يلقي على الكتاب ظلالَ الحياة والروح والأنس به[2]. ثمّ تبين الآيات الحكمة والعلّة منْ نزول القرآن الكريم على محمدﷺ، ﴿**هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ**﴾

﴿**هُدًى**﴾ يبيّن لهم صراط الحقّ المستقيم، وينجيهم منْ طريق الضلالة والشقاء، إلى طريق الخير والسعادة، ﴿**وَرَحْمَةً**﴾ هو رحمة لهم من العودة إلى الضلال بعد الهداية، هو سبيل السعادة في الدارين، هو سبب للخير الوفير، والثواب الجزيل، ﴿**لِلْمُحْسِنِينَ**﴾ للمؤمنين المتقين العاملين بما جاء في الكتاب الحكيم، والإحسان كما ورد في حديث نبينا ﷺ أنْ تعبد الله كأنّك تراه، فإنْ لم تكنْ تراه فإنّه يراك، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»،**

(1) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 129.

(2) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، ج2783/5.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ،..)[1]

إذنْ فاتحة سورةِ لقمان تبرز لنا عظمة فضل القرآن الكريم تلاوةً وسماعاً، وقبل الحديث عنْ فضل تلاوة القرآن الكريم وسماعه، لا مانع منْ أنْ يتضح للقارئ العزيز مفهوم القرآن عند أهل العلم، ومنْ خلال النظر في التعريفات الاصطلاحية للقرآن، يُلاحظ أنّها متعددة ومختلفة جزئياً بين العلماء، فمن العلماء منْ أوجز ومنْهم منْ توسط ومنهم منْ أطال، وسأذكر بعض هذه التعريفات، فمثلاً الشيخ منّاع القطان يعرفه ب" **كلام الله المنزل على محمدﷺ، والمتعبد بتلاوته**"[2]، وعرفه البعض بأنه "**اللفظ المنزل على محمدﷺ، والمنقول عنه بالتواتر، المتعبّد بتلاوته**"[3]، ومن التعريفات التي أطالت" **هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمدﷺ، المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أوّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة النّاس**"[4]، وغير ذلك من التعريفات . وترى الباحثة أنّ التعريف الأخير من التعريفات السابق ذكرها، من أصحّ وأكمل التعريفات ، فهو تعريف جامع مانع، شمل كل المعاني التي تتعلق بكتاب الله تعالى وكلامه، فقوله كلام الله تعالى خرج بذلك أيّ كلام آخر من كلام المخلوقات، المنزل على محمدﷺ أي بواسطة الوحي على نبينا محمدﷺ لا على غيره من لأنبياء ، معجز بلفظه حيث تحقق فيه صفة الإعجاز وتحدّى به محمدﷺ الخلق، متعبّد بتلاوته يثاب ويؤجر من تلى كلام الله، منقول بالتواتر أي نقله جمع عنْ جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب حتى وصل إلينا فهو ثابت قطعي، مكتوب بين دفتيّ المصحف من أوّل سورة وهي الفاتحة، إلى آخر سورةِ وهي النّاس. هذا شرح موجز لمفهوم القرآن الكريم، كلام الله تعالى الذي يعلو على كل كلام، ودستور إرشاد وهداية البشريّة، فيه صلاحها إلى يوم الدِين.

وقد وردت آثارٌ كثيرة من آياتٍ قرآنية، وأحاديثٍ نبويّة وأقوال للصحابة والعلماء تشير إلى عظمة كتاب الله، وفضل تلاوته وتدبره وسماعه، والمؤمن مأمور بقراءة وتلاوة القرآن وسماعه كذلك، لما في ذلك من تحقيق لعبوديته لله تعالى، ولما له أيضا من أثر عظيم في الدنيا والآخرة.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة)، ج115/6: حديث رقم 4777.

(2) مباحث في علوم القرآن، القطان، ج1/ 15.

(3) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزّرقاني، ج1/ 22.

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شُهبة، ج1 /21.

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[البقرة:121]، وقال ﷺ :(**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِه**) [1]، وما أحوج العبد يوم القيامة إلى شفيعٍ له عند ربه ﷻ، كذلك تلاوته سببٌ للخير والبركة ورفع الدرجات، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ(29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ(30)**﴾[فاطر29-30]، وروى الترمذي بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(**مَنْ قَرَأَ حَرْفاً منْ كِتَابِ الله، فَلَهُ بِهِ حَسَنَة وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمثَالِهَا، لا أَقُولُ ألم حرف، ولكنْ أَلِفٌ حَرف، ولامٌ، وميمٌ حرف**)[2]، ويزداد الأجر والثواب إذا زيّن المؤمن تلاوته للقرآن بالتدبرِ والفهم، فقد روى أبو داوود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الله : قال رسول الله ﷺ (**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**)[3].

وفضل القرآن الكريم لا يقتصر فقط على تلاوته وترتيله فحسب، بل يشمل أيضا سماع القرآن الكريم؛ لأنَّ سماع القرآن الكريم له أثرٌ عظيم في النفوس، ففيه انشراحها، وصلاحها، وطمأنينتها، وشفاؤها، قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [الإسراء:82]، فكل ما يتعلق بالقرآن العظيم، شفاءٌ ورحمة، ومن ذلك سماعه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[الأعراف:204]، في هذه الآية يوجب اللهُ على نفسه الشريفة الرحمة لمستمع القرآن، إذا حقق شروط الإنصات والاستماع، بترك كل ما يشغله عن سماعه من حديثٍ ونحوه، ثمّ القاء السمع واستحضار القلب والتدبر، وبذلك يصبح سماع القرآن الكريم عبادة يؤجر عليها كتلاوته. وكذلك سماع القرآن سببٌ وطريقٌ يلجأ إليه المؤمن لخشوع القلب، ومما يدل على ذلك ما ورد **عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال:(قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ**

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة / باب فضل قراءة القرآن، ج197/2: حديث رقم 1825.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن، ج5/ 175: حديث 2910، صححه الألباني.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، باب في ثواب قراءة القرآن، ج2/ 585: حديث 1455، إسناده صحيح.

وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا" قَالَ حَسْبُكَ الْآنَ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ)(1).

وبما أنَّ القرآن الكريم هو أحسن الحديث، إذن هو سببٌ لهداية أصحاب العقول الحكيمة الراشدة من الإنس والجنّ، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[الزمر:18]، وقد جعل الله ﷻ سماع القرآن منْ أسباب هداية الكفار ودخولهم في الإسلام، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الإسراء:6].

ويبيّنُ لنا سيد قطب– رحمه الله– أهميّة الاستماع والانصات للقرآن الكريم بقوله: "والنّاسُ يخسرون الخسارة التي لا يعارضُها شيءٌ بالانصراف عن القرآنِ العظيم، وإنَّ الآيةَ الواحدة لتصنع أحياناً في نفسٍ –حين تسمع لها وتنصت–، أعاجيبَ من الانفعال والتأثّر والاستجابة والتكيف والرؤية، والإدراك، والطمأنينة والراحة، والنقلة البعيدة في المعرفة الواعية المستنيرة ممّا لا يدركه إلا منْ ذاقه وعرفه!"(2).

جعلني الله وإياكم ممّن شرفهم اللهُ بالقرآن، تلاوةً واستماعاً وتدبراً وحفظاً وخدمةً له.

المطلب الثاني: المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة هم المفلحو

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٥) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٦)**﴾[لقمان:5-6].

إنّ من صفات المحسنين الذين اهتدوْا بهدي القرآن، ونجت قلوبهم من الضلالةِ والشقاء، إقامة شعائر ربهم، والتزامهم بعبوديتهم لخالقهم وإلههم ﷻ، ومنْ أهمّ هذه الشعائر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾، فأول هذه العبادات وأساسها إقامة الصلاة، ومعلوم أنّ الصلاة بالمعنى اللغوي هي الدعاء(3)، لكنْ كشعيرة وعبادة أمر الله بها عباده، فلها معنى اصطلاحي عند الفقهاء، فهي كما جاء في كتاب الفقه على المذاهب

(1) صحيح البخاريّ، البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج6/ 196: حديث رقم 5050.

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج3/ 1425.

(3) يُنظر: معجم الألفاظ والمصطلحات الفقهية، عبد المنعم، ج386/2.

الأربعة أنّها" **أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة**"[1]، ولا يختلف اثنان من حيث الحكم على وجوب فرضية الصلاة على المسلمين، بأدلةٍ ثابتةٍ من القرآن والسنة، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾[النساء:103]، وقال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة:43]، وقال تعالى: ﴿**وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [النور:56]، وغير ذلك من المواضع، فالفعل ﴿**أقيموا**﴾ هنا أمر يفيد وجوب الصلاة على المسلم المكلف، ومن السنّة تعددت الأدلة، ومن أهمها ما رواه البخاري بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)**[2]، إذن هي ركن أساسي منْ أركان الإسلام بل أهمّ ركنٍ بعد الشهادتين، ورأس الإسلام وعموده، ومما يدل على أهميتها أنّها دون العبادات الأخرى، قد فرضت علينا بأمرٍ مباشرٍ من الله ﷻ لنبيه، ودون واسطة، في ليلة الإسراء والمعراج.

وللصلاة ظاهرٌ يتعلق بالبدن من حيث القيام والجلوس، والركوع والسجود، وسائر ما يقال ويفعل، ولكنْ لها باطن يتعلق بالقلب والروح، منْ حيث تعظيم الله وتكبيره وخشيته ومحبته وطاعته وحمده، والخضوع لله لا يتحقق إلا بالإيمان والتوحيد والإخلاص والخشوع، هي نورٌ من الله يقذف به في قلب المؤمن ينير له طريق الهدى والخير، والسعادة والفلاح، ويثبته على الصراط المستقيم، قال تعالى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[المؤمنون:1-2]

هي الصلة التي تربط العبد بربه ﷻ فيجد لذة الخضوع والعبادة والمناجاة، فيخفف حِمل هذا القلب، ويطرح أثقال هذه الروح، فيطمئن قلبه وتقرّ عينه وتسعد روحه وينشرح صدره، تحميه من الفزع والهلع وتعينه على الصبر على الشدائد، قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[البقرة:45]، تربيه على الطاعة، وتحفظه من الفاحشة، قال تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت:45]، وكذلك تكفّر

---

(1) الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيريّ، ج1/ 160.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب بني الإسلام على خمس، ج1/ 10: حديث رقم 8.

عنه خطاياه وزلاته، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ " قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا)**[1]، وإقامة الصلاة تكون بأدائها في وقتها، وبتمام أركانها وشروطها، وكما علمنا إياها النبي ﷺ، نهتدي بهديه، ونستن بسنته.

وكذلك فإن من صفات المحسنين المهتدين، إيتاء الزكاة ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾، وكما فرض الله ﷻ على المسلم إقامة الصلاة، فرض عليه إيتاء الزكاة، وقد قُرنت بالصلاة غالباً، قال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة:43] ، وقد تقدم في حديث سابق أن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمس التي يقوم عليها صحة إسلام المرء، إذن هي عبادة مالية معنوية لها مكانتها العظيمة في الإسلام. والزكاة لغة الطهارة والصلاح[2]، قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[التوبة:103]، وكذلك تأتي بمعنى النماء والزيادة[3]، أما اصطلاحا فالزكاة تعني" **القدر الواجب إخراجه لمستحقيه في المال الذي بلغ نصابا معينا بشروط مخصوصة"**[4].

وقد شُرّعت الزكاة لحكمٍ كثيرة، فبها يطهر المزكي نفسه وماله، نفسه من الشح والبخل، والذنوب والخطايا، وماله من الفساد وعدم البركة، كذلك فيها شكرٌ للنعمة ودليلٌ على صدق الإيمان، وسببٌ لرضا الرحمن، ثمّ إنّها تنشر الألفة والمودّة والترابط والتكافل بين أبناء المجتمع المسلم.

ثمّ خُتِمت الآية بذكر صفة المحسنين القائمين على عبادة اللهﷻ وطاعته، ألاَ وهي الإيمان بالبعث واليوم الآخر ﴿**وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾، أيْ مؤمنون إيماناً صادقاً جازماً بأنّ مآلهم للحساب عند الله ﷻ، لذلك أصلحوا القلوب والأعمال. ثمّ شرف هؤلاء بأنْ يصفهم الرّحمن ب ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٦)**﴾ [لقمان: 6]. واسم الإشارة أولئك يعود على المحسنين المقيمين الصلاة، المؤتين الزكاة، الموقنين بالآخرة، وقد تكرّر لفظ

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مواقيت الصلاة/ باب الصلوات الخمس كفارة، ج112/1: حديث رقم5).
(2) يُنظر: تهذيب اللغة، الهروي، ج175/1.
(3) يُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، ج176/2.
(4) رسالة في الفقه الميسّر، السدلان، ج1/ 58.

أولئك في الآية للدلالة على مكانتهم، وعظم قدرهم عند الله تعالى[1]. فأولئك الفريق هم السعداء الأبرار الذين أكرمهم الله بالهداية، وأولئك هم الناجون الفائزون في الدنيا والآخرة، لأنّهم جمعوا بين العقيدة الحقّة والعمل الصالح.

المطلب الثالث: المعرضون عن القرآن والمنشغلون بلهو الحديث تكبّراً، يستحقون عذاب الله .

في موضعٍ سابقٍ من البحث[2]، تحدثتُ عن صفات فريق الضالين الأشقياء من النّاس، فبعد أنْ بيّنت فاتحة السورة الكريمة صفات فريق الأبرار السعداء وهم المهتدون بهدْي كتاب الله الحكيم وكلامه، انتقلت لتبيّن لنا فريقاً من النّاس أعرض عن هدي القرآن وانشغل بلهو الحديث، ليضل نفسه ويضل غيره ويصدّ عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّهِينٌ** ﴾[لقمان6:]. والمقصود بلهو الحديث كما وضحت الباحثة سابقاً أيضاً[3]، هو كل الأحاديث والأفعال الملهية للقلوب، والتي تصدّ عن طاعة الله تعالى، فمصير هؤلاء ﴿ **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ أي جزاء إعراضهم عن القرآن وانشغالهم بلهو الحديث العذاب المخزي المذلّ في الدنيا والآخرة. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم، حذر سبحانه عباده بشدّة من الإعراض عن القرآن الكريم، وبيّن عاقبة منْ يفعل ذلك من الإثم الذي يحمله يوم القيامة بسبب هذا الإعراض عن القرآن، وعدم تلقيه بالقبول والتسليم، قال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا *خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا**﴾[طه:99-101]، فالله ﷻيبيّن لنا في هذه الآيات ، أنّ القرآن ذكرٌ للرسول ﷺ وأمته، لذلك يجب الإقبال عليه والأخذ بكل ما جاء فيه، والاهتداء بهديه ونوره، أمّا الإعراض فهو جحود ونكران لهذه النعمة، يستحقّ فاعله العقوبة[4] .

وهذه العقوبة ذُكرت في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا *قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ**

---

(1) يُنظر: البحر المحيط، أبوحيّان، ج409/8.

(2) انظر: ص (15).

(3) انظر: ص (15).

(4) يُنظر: فقه الأدعية والأذكار، البدر، ج76/1.

آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *﴾[طه:124-127]. وقد وضحت آيات سورة لقمان أنَّ سبب الإعراض الأساسيّ عن قبول هدي القرآن هو التكبّر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:7]، فهذا الصنف من النّاس قد صمَّ أذنيه، وعطّل عقله، وأغلق قلبه عن سماع آيات الله، وكأنّ أذنيه فيهما ثقل ضيّع سمعه، وكأنّ هذا العقل قد توقف عن التفكير، وهذا القلب قد أُقفِل، فلا يصل نور القرآن إليه، فولّى وأعرض وأدبر، وخسر الخسران العظيم ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وبكلّ استهزاء وسخرية وتحقير تُزَف إليه البشرى بالعذاب المهين أولاً، ثمّ الأليم ثانياً، عذابٌ جسديّ وعذابٌ معنويّ، استحقه جزاء إعراضه وإدباره.

المطلب الرابع: بيان مدّة الحمل والرَّضاع وبيان أحكام النفقات

إنّ وجود الإنسان على قيد الحياة وهذه النعمة التي يعيشها، يعود الفضل فيها لخالقهﷻ، لذلك كانت الوصيّة الأولى للقمان الحكيم، هي الشكر لله وعدم الشرك به، ثمّ من بعد ذلك للوالدين، اللذين هما أصل وجوده على هذه الأرض، لذلك جاءت الوصيّةُ الرقيقة بالوالدين، والأمر بالإحسان إليهما، فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:14]، فقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه﴾ أيْ عهدنا إلى الإنسان آمرين إيّاه ببرِّ والديْه، أيْ أبيه وأمه، بكفِّ الأذى عنهما وطاعتهما في المعروف، والإحسان إليهما، وبذل المعروف لهما[1]، ويلاحظ أنّ توصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، والسنّة النبويّة، بينما توصية الوالدين بالولد لم ترد إلا قليلاً، وذلك بسبب أنّ فطرة الوالدين وحدها، دون وصية، كفيلة برعاية الوليد والحرص عليه والبذل له دون تأفف أو شكوى، لضمان امتداد الحياة كما يريدها الله ﷻ، بينما الولد بحاجة إلى وصية مكررة وتذكير مستمر ليلتفت إلى جيل الآباء الذاهب، ومهما فعل لن يستطيع أن يوفي شيئاً من حق الآباء[2].

ثمّ في هذا الموضع بعد أن ذكر الوصية بالوالدين عامة، خصّ الأم بذلك، فذكر فضلها على الولد فقال ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أيْ حملته والدته في بطنها، ضعفاً على ضعف،

(1) يُنظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج717/2.

(2) يُنظر: في ظلال القرآن، قطب، ج2788/5.

ومشقة فوق مشقة، من لحظة الحمل إلى حين الولادة؛ لأنّ الحمل كلما ازداد وعظم، ثقل وازدادت الأم ضعفاً[1]. وفي هذه الآية دلالات عدّة : أوّلها أنّها تذكّر هذا الإنسان بأصل خلقه، وشدّة ضعفه منذ أنْ كان نطفة في رحم أمه، وعليه أن يحفظ فضلها سائر حياتها، ثانيها أنّ الجنين في بطن أمه يقضي مدّة من الزمن وهي فترة الحمل، وقد اتفق العلماء على أنّ أقل مدة للحمل هي ستة أشهر، وغالبها تسعة أشهر، وغالب مدّة الحمل مع الرضاع ثلاثون شهراً[2]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾ [الأحقاف:15]، وبقوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة:233]، فإذا كانت مدة الرضاعة الطبيعية حولين كاملين، إذن فأقل مدة للحمل هي ستة أشهر، حيث تخصم مدة الرضاعة وهي أربع وعشرون شهرا من المدة الكلية وهي ثلاثون شهرا، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره، أنّ عليّ ابن أبي طالب قد استدل بهذه الآية ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾ مع التي في لقمان ﴿**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾، على أنّ أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح، ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة[3].

أما الدلالة الثالثة فهي أنّ الآية تبيّن لنا عظمة فضل الأم خاصة، حيث صرحت الآية بذكر المشقة التي تتحمّلها الأم منذ حملها بولدها، وهذا ما تختلف فيه الأم عن الأب.

﴿**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ أيْ فطام الولد من الرضاع يكون في عامين، ومعلوم أنّ الرّضاع يبدأ منْذ الولادة، فأوّل الرضاع ساعة الولادة، وآخره لمنْ أراد في تمام العامين، ويمكن أنْ يكون الفطام خلال العامين، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة:233]، و"حولين أي سنتين من حال انقلاب الشيء إذا انقلب، فالحول منقلبٌ من الوقت الأول إلى الثاني"[4]، وقد أوجب الله ﷻعلى الزوج النفقة للمرضع، سواء كانت هذه المرضع هي الأم الوالدة أم مرضع استأجرها الأب لإرضاع ولده، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[البقرة:233]، وتكون النفقة على قدر حال الأب من السعة والضيق، وهذا مذكور

(1) يُنظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج472/2.

(2) يُنظر: موسوعة الفقه الإسلامي، التويجري، ج127/4.

(3) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج11/47.

(4) تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج245/1.

بشكل صريح في الآية السابقة[1]، وكذلك إنّ أكثر ما يلزم به الأب في نفقة الرضاع إنما لمدة سنتين[2].

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ وهذا هو الموصى به، وهو شكر الله الموجد الخالقﷻ أولاً، وذلك بطاعته وذكره، ثمّ شكر الوالديْن، وهما السبب في الإيجاد والنشأة ثم التربية، وقرن بين شكره وشكر الوالدين؛ لأنّ شكر الله يستلزم شكر الوالدين، وشكر الوالدين ينتهي إلى شكر الله[3]. ﴿**إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ أي إليّ المرجع بعد الموت، وهذه الفاصلة أو الخاتمة للآية تناسب المعنى الوارد في الآية، حيث إنّها تذكّر الإنسان بأنّه عائدٌ إلى ربه ﷻ ومحاسبٌ على عمله، لذلك عليه أنْ يحسن العمل، ويحرص على ألا يخالف وصية الله له.

أهم التوجيهات التربوية المستنبطة من هذا المبحث:

تخلص الباحثة في نهاية هذا المبحث إلى عدة توجيهات تربوية مستنبطة من خلال آيات سورة لقمان، وأهمها:

1- توجيه المؤمنين إلى الحرص على تلاوة القرآن الكريم وسماعه، فهو مصدر الرحمة والفلاح.

2- وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهما من أهم صفات المفلحين الأبرار.

3- عدم الانشغال بلهو الحديث، مهما كان نوعه؛ لأن ذلك من صفات الضالين الأشقياء.

4- بيان بعض الأحكام كمدة الحمل والرضاع، وأحكام النفقات.

5- بيان فضل الأم خاصة تقديرا لما تتحمله من مشاقّ.

---

(1) يُنظر: تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج251/1.

(2) يُنظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج488/1.

(3) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج11645/19.

المبحث الثالث

التوجيهات التربوية الأخلاقية في سورة لقمان

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: شكر الله على نِعَمِه يحقق النفعَ والثوابَ والبركةَ للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[لقمان:12].

إنَّ منْ فضل اللهﷻ على عباده أنْ أغرقهم بنِعَمه وعطاياه، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾[لقمان:20]، فكانت نِعمه سبحانه لا تُعدّ ولا تُحصى، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل:18]، وإنّ أعظم هذه النّعَم نعمة الإسلام، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[المائدة:3]، وكان منْ واجب العبد الضعيف في المقابل، ومنْ مستلزمات عبوديته، أنْ يقابل هذه النّعم بالشكر والحمد والعرفان، وقد ذُكِر هذا التوجيه الرّباني لشكر النّعم ضمن الحديث عن لقمان ووصاياه، فبعد أنْ ذكرت الآيات بعضاً منْ نعمه سبحانه على عباده في قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[لقمان:10]، جاء الأسلوب القصصي القرآني ليذكر لنا مقتطفاتٍ من قصة لقمان الحكيم ووصاياه، فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[لقمان:12]، فلقمان الحكيم قد وهبه اللهﷻ الحكمة، والحكمة كما عرفها بعض العلماء هي: "**علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية**"[(1)] أو هي" **التوفيق إلى العمل بالعلم والفهم**"[(2)]، أو هي " **الفقه في الدِّين والإصابة في الأمور ورأس مخافة الله تعالى بذكره وشكره**

---

(1) التعريفات، الجرجاني، 123.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 144.

الذي هو طاعته في عبادته، وتوحيده فيها"[1]، وبما أنّ رأس الحكمة مخافة الله تعالى بذكره وشكره، جاء الأمر الإلهيّ للقمان خاصة، ولكلّ مؤمن موحّد عابد لله عامة ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ**﴾، أي وقلنا له يا لقمان اشكر الله واحمده على ما آتاك من فضله، وفسّر البعض قوله (أن اشكر) بأنها ترجمة للحكمة؛ لأنّ من الحكمة التي وهبها الله له كان شكره لله على فضله وعلى ما آتاه[2]، إذنْ منْ واجب المؤمن أنْ يشكر الله على كل نعمه وفضله، قال تعالى: ﴿ **وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[النحل:114]، و(**عَنْ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيَّﷺ يقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ – أَوْ سَاقَاهُ – فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**)[3].

والشكر كما عرفه ابن القيم– رحمه الله– هو" **الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدّث بها ظاهراً، والاستعانة بها على طاعة الله**"[4]، ومن خلال التعريف نستنتج أنّ أركان الشكر ثلاثة: فأولها استشعار فضل اللهﷻ بقلبه، ثانيها الشكر باللسان بالحمد والثناء على اللهﷻ، ثم ثالثها عمل الجوارح بطاعة الله وعدم استعمال هذه النعم في معصية الله.

ومما يدلّ على أهمية الشكر، أنّ اللهﷻ قد قرن الشكر بالإيمان؛ لأنّ الشكر حقيقة الإيمان، قال تعالى: ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾[النساء:147].

وأعظم الشكر الإيمان بربّ العالمين، فهو شكر الله على نعمة الإسلام، وكذلك خصّ أهل الشكر من بين عباده بالمنّة عليهم، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾[الأنعام:53]، وبيّن أنّ الشكر مرتبةٌ عالية لا يصل إليها إلا القليل من العباد، فقال تعالى: ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ:13].

ثمَّ بيّن سبحانه بعد توجيه عباده إلى فضيلة الشكر له ﷻ، أنّ ثمرة الشكر ونفعه وبركته إنّما تعود على الشاكر نفسه، فقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ**

(1) أيسر التفاسير، الجزائري، ج2/ 716.
(2) ينظر: تفسير الطبري، الطبري، ج8/ 6555.
(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التهجد/ باب قيام النبيﷺ في الليل، ج50/2: حديث رقم 1130.
(4) مدارج السالكين، ابن القيم، ج244/2.

لِنَفْسِهِ﴾[لقمان:12]، أي منْ قدّم الشكر لله ﷻ بالمداومة على طاعته وذكره، ارتدّ أثر شكره عليه بالنفع والخير، فبشكره نال الأجر العظيم والثواب الجزيل، وحلّت البركة عليه، فحُفِظَت هذه النعم، بل وازدادت، قال تعالى: ﴿ **وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[آل عمران:144]، ففي هذه الآية لم يحدد جزاء الشاكرين، مما يدل على عظم أجرهم عند اللهﷻ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[إبراهيم:7]، وفي الشكر كذلك نجاةٌ من عقوبات الدنيا وشرورها، وكربات الآخرة، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ* نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ** ﴾ [القمر:34-35]، ومن المهم والضروري أيضا التذكير بالنِّعَم، وبما يجب منْ شكرٍ للمُنعِم على إنعامه، لأنَّ الذي لا يذكر النّعمة لا يشكرها، فذكر النِّعم يساعد على شكرها[1].

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين، وإنّ منْ تمام الشكر العجزُ عن الشكر.

المطلب الثاني: جحود نِعَم الله ﷻ ، والشرك به، يسيء بالمخلوق ولا يضرّ الخالق.

في المطلب السابق، كان الحديثُ عنْ وجوب شكر الله على نعمه، وأنّ هذا الشكر إنّما يحقق النفع والبركة والثواب للمؤمن الشاكر، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾[لقمان:12]، وفي المقابل تكمل الآية الكريمة الحديث عن عاقبة كفران النّعم، فقال تعالي: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[لقمان:12]، (ومن كفر) أي ومنْ جحد وكفر نعمة الله عليه، فقد أساء إلى نفسه؛ لأنَّ الله معاقبه على كفرانه هذه النعم، لأنّ(الله غنيٌّ حميد) أي الله غنيّ عن شكره إيّاه نعمه، فلا حاجة به إليه، فشكر المخلوق لا يزيد منْ سلطان الله شيئاً، وكفره لا ينقص من ملكه شيئاً، فهو محمودٌ في ذاته على كل حال، له الحمد على نعمه وفضله[2].

وقد قسّم سبحانه النَّاس إلى شكور وكفور، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ [الإنسان:3]، إمّا شاكراً بإيمانه وطاعته والتزامه طريق الهدى، وإما كفوراً بجحوده ومعصيته، وقد سبق الحديث وبشكل موجز عن شكر النعم وفضل ذلك على المؤمن الشاكر، ويقابل شكر النعم الكفر بها، وأعظم كفرٍ للنعم الكفر بالإسلام والقرآن والسنة، ولا ينفع أيّ شكر

(1) ينظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، الجزائري، ص88.

(2) ينظر: تفسير الطبري، الطبري، ج8/ 6555.

للنعم مع الكفر بالإسلام، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة:5]، ولكفر النعمة صور وأوجه أخرى، فمن كفر النعمة أن لا يعرف النعمة ويجهلها أو لا يقدّرها حقّ قدرها، أو أنْ ينكر أنّ النعمة من اللهﷻ، فالبعض قد ينسب النعم إلى غير المنعم والمتفضل كما يفعل المشركون، أو قد ينسب هذا الفضل لنفسه، فيعتقد أنّه قد حصّل هذه النّعم بقدرته وقوته وعلمه، ومنها أنْ يستعمل هذه النعم في غير طاعة الله، فيوظّفها في المعاصي ونشر الفساد.

أمّا أسباب كفران النّعَم وجحودها، فأوّلها الجهل والغفلة، فالكافر بالنعمة منعه جهلُه وغفلتهُ من معرفة النعمة، ولو عرفها ظنَّ بعد ذلك أنّ شكر النعمة يكون باللسان الحمد لله والشكر لله، ولم يعلم أنّ المعنى الحقيقيّ للشكرِ هو استعمال النعمة فيما خُلقت له وهو طاعة اللهﷻ، وإنْ لم يكن الجهل والغفلة هو سبب كفران النعم، فلا يمنع من الشكر إلاّ غلبةُ الشهوات، واستيلاء الشيطان[1]. إذنْ يتضح كما ذُكر سابقاً أنّ شكر النّعمة بالحفاظ على طاعة الله وعبادته، إنّما هو سببٌ لدوامها وزيادتها، أمَا كفر النعمة بالجحود والتمرد والعصيان سبب لزوالها وهلاكها، " وكذلك الله لا يغيّر ما بقومٍ من النعمةِ والإحسانِ ورغدِ العيش، حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فينقلبوا من الإيمانِ إلى الكفرِ، ومن الطَّاعاتِ إلى المعاصي، ومن شكرِ النعم إلى البَطَرِ بها، فيسلبهم اللهُ عندَ ذلك إيّاها"[2].

وكما ورد عند بعض البلغاء " لا زوال للنعمة مع الشكر، ولا بقاء لها مع الكفر"، وكذلك " كفر النعمة منْ أمارات البطر، وأسباب الغِيَر"[3].

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصّبر على الأذى، طريق الجنّة.

قال تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان:17].

ما زال السياق القرآني يتجلّى بروعته وأسلوبه ومضامينه، وتظهر أوجه الإعجاز البلاغي والتشريعي، وغيرها، مما يؤكد عظمة كلام الله تعالى، دستور الصلاح والهدى، وينطلق النداء الأبويّ الرحيم منْ لقمان الحكيم ﴿**يَابُنَيَّ**﴾، وبكلّ لطف يوجهه إلى أعظم ما يحفظ على

---

(1) ينظر: نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء، ج9/ 4327.

(2) موسوعة فقه القلوب، التويجري، ج3/ 2627.

(3) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص207.

الإنسان دينه، ويصحّح مسار علاقته بربهﷻ، ويكتمل به إيمان المسلم في ذاته بعد الشهادتين ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ..**﴾ أي أدِّ الصلاة بشروطها، وأركانها، وسننها، وفروضها، وقد سبق الحديث عن هذه الفريضة في موضعٍ آخر[1]، ثمّ يبيّن لقمان بعد ذلك لولده أنّ إيمان المؤمن لا يقف عند هذا الحدّ من الأركان، إنّما منْ كمال الإيمان أن يؤدّيَ المؤمن واجبه نحو أخيه المؤمن، ويحب له ما يحبّ لنفسه، وذلك من خلال ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، فأنت يا بنيّ كمُلتَ في ذاتك بالصّلاة، وبالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر تنقل هذا الكمال لغيرك، وفي ذلكَ كمال الإيمان[2]، والمعروف هو" **ما عرف الشرعُ حسنَه فأمر به إيجاباً واستحباباً، ودعا إليه طاعة وسنّة** "، أما المنكر فهو" **ما نكره الشرع وحكم بقبحه فنهى عنه تحريماً أو تنزيهاً، وحذّر منه تحذيرَ معصيةٍ أو بدعة** "[3].

ويعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منْ أهمّ العبادات التي تملك أمر هذا الدّين، وتصون حرمته بين المسلمين، وتحفظ عليهم شريعتهم، وتنقذهم من الجهل والغفلة، فتحيي قلوبهم، وتوقظ عقولهم، ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمجال من المجالات، بل يشتمل جميع ما جاء به الإسلام من المفاهيم والقيم والمبادئ والشرائع التي تقوم عليها العقيدة، وتحكم العلاقات الإنسانية، فهو دعوةٌ إلى الإسلام من حيث العقيدة والمنهج والسلوك.

لذلك وردت الأدلة الكثيرة التي تبيّن فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كلّ مسلم بقدر استطاعته، قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:104]، وقد استنبط العلماء من هذه الآية الكريمة، أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، لقوله تعالى(ولتكن منكم أمة) أي البعض دون البعض[4]، وكذلك قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾ [آل عمران: 110] وفي هذه الآية قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان، مما يدل على أهميته وفضله.

---

(1) انظر: (ص38).

(2) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11656.

(3) رسالة الشرك ومظاهره، الجزائري، ص453.

(4) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج37/2.

وقال رسول الله ﷺ: (**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**)(1) ، فهذا الحديث الشريف يدلّ على مسؤوليّة كل فرد مسلم عن هذا الواجب، فكلٌ قدر استطاعته، يجب عليه إنكار المنكر. وقد جعل الله سبحانه هذه العبادة سمةً لنبيّنا محمدﷺ، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ** ﴾[الأعراف:157]، ثمّ جعلها منْ صفات المؤمنين التي يعرفون بها، قال تعالى: ﴿**وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم**﴾[التوبة:71]، وبهذه العبادة تُحفَظ الأمّة من الهلاك واللعن والطرد من رحمةِ الله، فهي سببٌ لرحمة الله بعباده، قال تعالى عنْ بني إسرائيل: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ*كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة:78-79].

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آدابٌ وشروط، فعلى الداعية الآمر بالمعروف أنْ نيته وعمله للهﷻ، وأنْ يكون قدوةً لغيره في كل ما يفعل ويقول؛ لأنّ " الأمر بالمعروف يكون بالقول، وأبلغه أنْ يكونَ بامتناعك بنفسك عمّا تنهى عنه، واشتغالك واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك، ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره"(2).

ثمّ يختار الوقت والمكان والكلام المناسب، قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[النحل:125]، وكذلك عليه أن يختار الكلام اللّيّن ويتحلى ببشاشة الوجه، قال تعالى: ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه:44]، ومن أهمّ ما يجب أنْ يتصف به الداعية كذلك **الصّبر**، فطريق الدّعوة إلى الله صعبٌ، قد يجده الداعية مليئاً بالأشواك والصعوبات التي تحتاج منه إلى صبرٍ عظيم، لذلك كانت وصيّة لقمان لابنه ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** ﴾ [لقمان:17]، ففي هذه الآية " تنبيه على أنّ منْ قام بحقّ الله، امتُحِنَ في الله،

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج69/1: حديث رقم 78.

(2) لطائف الإشارات، القشيري، ج132/3.

فسبيله أنْ يصبر لله"[1]، إذنْ المعنى، أنَّك إذا أمرتَ بالمعروف ونهيتَ عن المنكر، فأصابك في سبيل ذلك أذىً من شدةٍ أو مشقة أو ذل أو هوان، فعليه بالصبر، فصبره لن يذهب سدى.

يقول السمرقنديّ:" وصارت هذه الآية بياناً لهذه الأمّة، وإذناً لهم، أنّ منْ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ينبغي أن يصبرَ على ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجهِ الله تعالى، لأنّه قد أصابه ذلك في ذات اللهﷻ "[2]، ﴿**إِنَّ ذَلِكَ**﴾ أي الذي يصيبك به، ﴿**مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ أي مما عزمه الله ﷻ وأوجبه وفرضه على عباده وفرضه على وجه الإيجاب والإلزام، وفي ذلك دليلٌ وإشارة إلى أنّ هذه الطاعات والأعمال كانت مأمورا بها في سائر الأمم[3].

ومنْ كانت هذه طريقه، ومنْ كان مع الله تجارته، فهو الرابح لا محالة، وإنّ فضل هذه العبادة الجليلة على صاحبها لعظيم، وثوابها لجزيل، فهي سبب الخيرية كما وصف ﷻ في كتابه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾ [آل عمران: 110]، وهي سبيل النجاة من الهلاك : ﴿**وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[التوبة:71]، وبها تكفّر الذنوب والخطايا، فكما ورد في صحيح مسلم، أنّ النبي ﷺ قال: (**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ**)[4]، ومن أراد الأجر والثواب العظيم فله ذلك، ما دام أخلص نيته لله ﷻ، وإنّ لنا في رسول الله ﷺ في ذلك أسوةٌ حسنة، فطريق الدعوة هو طريق الأنبياء والصالحين.

---

(1) لطائف الإشارات، القشيري، ج132/3

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/ 24.

(3) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، ج2/ 716.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، ج8/ 173: حديث رقم 7450.

المطلب الرابع: تقرير مبدأ الطاعة بالمعروف واجتناب الطاعة العمياء

قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [لقمان:15].

إنّ دين الإسلام العظيم دينٌ قائمٌ على وحدانيّة الله ﷻ وتمام الخضوع له كما نعلم، وقد ربّى النبيّ ﷺ أتباعه على ذلك، وغرس فيهم أنْ يؤثروا العقيدة على كل ما يحبون، منْ أنفسٍ وآباءٍ وأبناءٍ وإخوانٍ وعشيرةٍ وأموالٍ وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا، فإذا خُيِّر بين ذلك كله، اختار دينه وعقيدته، وبذلك نشأ جيل المسلمين الأوائل، جيل الحقّ والقوة، وما زال القرآن الكريم يصدح بهذا المبدأ وهذا التوجيه من خلال آياته البيّنات، دستور الهداية والصلاح، فبعد أنْ أكدّت آيات سورة لقمان على الوصيّة بالوالدين في قوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان:14]، عادت لتؤكد على أهميّة رابطة العقيدة، وتقديمها على رابطة النسب مهما كانت قوية كرابطة الوالدين، فجاء قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [لقمان:15]، خاصّةً أنّ وصايا لقمان لابنه بدأت بالتأكيد على توحيد الله ﷻ وعدم الشرك، لكنْ رغم أهميّة ومكانة الوالدين في حياة الإنسان ووجوب بره بهما، إلا أنّه عند التعارض وجب تقديم العقيدة على كل ما عدا ذلك.

فقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ**﴾ أي الوالدين، والمعنى إن بذلا الجهد، وحاولا وألحّا في الطلب، وحرصا عليك كلّ الحرص على أنْ تتابعهما في دينهما ﴿**عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي**﴾ أي تشرك بي في عبادتي غيري ﴿**مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ مما لا تعلم أنّه شريك لي، ويقصد بنفي العلم هنا نفي الشريك، أي لتشرك بي ما ليس بشيء وهي الأوثان والأصنام ﴿**فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾ أي لا تستجيب ولا تطعهما فيما أمراك به من الشرك بي(1).

﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ أي صاحب الوالدين رغم شركهما في الحياة الدنيا بالمعروف، أي صحبة يرتضيها الدِّين، والمروءة ومكارم الأخلاق، بالإحسان إليهما بالإطعام والكسوة، وعدم

(1) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 148-149.

الجفاء، والزيارة عند المرض، وغير ذلك مما يجب على الولد نحو والديه. وقوله **(في الدنيا)** "إشارة إلى تهوين أمر الصحبة على الولد، فالحياة أيام قلائل سرعان ما تنقضي، فلا يصعب عليه تحمل مشقتها"[1] ويلاحظ أنّ كلمة **(صاحبهما)** تدل على جمال وبلاغة الأسلوب القرآنيّ، فهو لم يقل قدّما لهما المعروف، إنّما جعل المعروف مصاحبة، ممّا يقتضي على الولد ملازمة متابعة والديه وتفقدهما دون أنْ يطلبا، وهذا من البر والإحسان[2].

ويُلاحظ من خلال الآية الكريمة أنّ القرآن يقرر لنا هنا مبدأ الطاعة بالمعروف، فالطاعة في الإسلام نوعان: طاعة عمياء لا يأمر بها الإسلام، ويرفضها لما فيها من التقليد الذي يعطّل نعمة العقل وتقود إلى الهلاك، وطاعة أخرى مبصرة أي واعية مبنية على القرآن والسنة، وهذه لها ضوابط ألّا تكون في معصية، وأنْ تكون في المعروف.

والطاعة التي يرتضيها الإسلام ويأمر بها، هي كلّ عمل صالح، فكل طاعة عمل صالح وكل عملٍ صالح طاعة، وهو العمل المشروع المأمور به أمر إيجاب أو استحباب، ويدخل فيه البرّ والخير والإحسان، وضده المعصية وتشمل العمل الفاسد والفجور والشر والظلم[3].

وليس هناك في الإسلام طاعة مطلقة إلا لله ﷻ ورسولهﷺ، وقد جاءت كل قضايا الطاعة مقيّدة بالمعروف، أي الخلوّ من المعصية أو أي ضرر أو أذى، فطاعة الوالدين من طاعة اللهﷻ، وبرهما من الفرائض، وعقوقهما من الكبائر، لكن فيما لا ضرر فيه ولا معصية، لقول النبيﷺ: **(لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)**[4] ، وعن النبيﷺ أنّه قال:(**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)**[5].

---

(1) المراغي، تفسير المراغي، ج84/21.

(2) يُنظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 116

(3) يُنظر: الاستقامة، ابن تيمية، ج2/ 228.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة/ باب إنما الطاعة بالمعروف، ج15/6: حديث 4793.

(5) المرجع السابق، ج15/6: حديث 4791.

يقول ابن تيمية- رحمه الله-:" ويلزم الإنسان طاعة والديه في غير المعصية، وإنْ كانا فاسقين، وهذا فيما فيه منفعة لهما، ولا ضرر عليه"[1]، ولا يقتصر هذا المبدأ على طاعة الوالدين، إنّما الطاعة بالمعروف واجتناب الطاعة العمياء يشمل أيّ طاعةٍ أخرى، حتى طاعة وليّ الأمر فإنّها تابعة لطاعة الله ورسوله، فإنْ أمر بمعصية فلا طاعة له، وإنْ حصل نزاع رُدَّ الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله، قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء: 59]. ثم بعد الأمر بطاعة الوالدين بالمعروف، تؤكد الآيات على أنّ هذا الطريق هو الطريق الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده المؤمنين الصالحين، فقال تعالى: ﴿ **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾[لقمان:15]، أي اتبع طريق من رجع إليّ من أهل الطاعة من عبادي الصالحين، بالتوبة والإخلاص[2]، وترى الباحثة أنّ في ذلك توجيه ربّانيّ لعامة المسلمين إلى حسن اختيار الرفقة والصحبة، لما لها منْ أثرٍ عميق في سلوك وطباع الفرد، فتوجيه الأبناء لاختيار الصحبة الصالحة واجبٌ أبويٌ ضروري، ﴿**ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ**﴾ إليّ لا لغيري، وهذا تكرار للتأكيد، ﴿**فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ أي أخبركم عند رجوعكم بما كنتم تعملون في الدنيا من خيرٍ أو شرٍ، ثم أجازي كلاً على عمله، أجازيكم على طاعتكم لله ﷻ وبركم بوالديكم، وأجازي الوالدين على كفرهما بالله ﷻ. لذلك ترى الباحثة أنّ هذه المعاني التي تضمنتها الآيات تؤكد على مدى مسؤولية الأبوين في تربية الأبناء وغرس العقيدة الصحيحة في النفوس وتثبيتها بحيث تجعل هذا الابن صخرة شماء قادرة على مواجهة تحديات زمنه بكل قوةٍ وثبات ولينصر دينه مهما واجه من مغرياتٍ وفتن.

المطلب الخامس: الحث على التواضع وتحريم الكِبْر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين.

بعد أنْ أمر لقمان الحكيم ولده بكل حبٍ وحرصٍ بعددٍ من العبادات والأخلاق، كإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم الصبر على ذلك، ظهر الحبُّ و الحرصُ على شكل تحذيرٍ أبويٍّ رءوف، ونهيٍ عن خصلةٍ مذمومةٍ عند الله ﷻوعند الناس وهي صفة (التكبُّر)، فمن أدب معاملة الآخرين عدم احتقارهم أو التفاخر عليهم، لأي سببٍ كان، فكان قوله

(1) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، كتاب الحج، ج381/5.

(2) يُنظر: فتح القدير، الشوكاني، ج274/4.

تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:18]

فقوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تُمِل وجهك وتعرض عن الناس تكبراً وتحقيراً لهم، حيث يقال صاعر وصعَّر، إذا أمال عنقه إلى جانب ليعرض عن جانبٍ آخر، وهو مشتق من الصّعَر بالتحريك، لداء يصيب البعير، فيلوي فيه عنقه، فالغرض من التشبيه هنا تمثيل للاحتقار، والنهي عن الإعراض يقصد به النهي عن تحقير الناس[1].

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ كناية عن النهي عن التكبر، أي لا تمش مشية المرح والاختيال والتكبر إعجاباً بنفسك، والمرح هو فرط النشاط من فرح وازدهاء[2]، ويظهر ذلك في المشي تبختراً واختيالاً، إذن النهي في كلا الموضعين يستنتج منه الزجر عن احتقار النّاس والحث على التواضع[3]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي إنّ الله لا يحب كل متكبر ذي فخر، وصفة مختال هنا مقابلة للماشي مرحاً، والفخور للمصعّر خده كِبْراً[4]، وهذا كان من كلام لقمان لولده بعدما نهاه عن الكِبر والاختيال والفخر، نفّره منْ هذه الصفات ببيان أنّ الله لا يحب منْ كانت هذه صفاته، حتى يتجنب الاتصاف بها[5].

ورغم أنّ وصية لقمان لولده وتحذيره لهمن صفة الكِبر كانت تخص تعامله مع الناس من حوله، فنهاه عن التكبر على الناس، إلا أنّ للكبر أنواع وأقسام عِدّة، فبخلاف التكبر على الناس، قد يكون التكبر على الله ﷻأو على رسله عليهم السلام، فالتكبر على اللهﷻ أقبح وأفحش أنواع التكبر، وهذا يكون إذا اتصف المتكبر بالجهل، وتشبعت نفسه بالطغيان، والتف حوله صحبة وبطانة سيئة تسول له التكبر على الله ورسله، طمعاً في تحقيق مصالحها وغاياتها، ويتمثل ذلك خاصة في طبقة الحكام والأثرياء، ومنْ أمثلة التكبر على الله تعالى، ما ورد عن فر عون قوله: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات:24]، ومنْ أمثلة التكبر على الرسل أيضا ما ورد عن فرعون ومن معه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: 47]، أما من أمثلة التكبر على الناس ما ورد عن إبليس قوله عن آدم عليه السلام : ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي

---

(1) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج166/21.
(2) يُنظر: المرجع السابق، ج167/21.
(3) يُنظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، قصاب، ج3/ 627.
(4) يُنظر: الكشاف، الزمخشري، ج526/3.
(5) يُنظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج2، ص208).

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:12]، ومعلومٌ أنّ التكبر على الله ورسله كفرٌ صريح؛ لأنّ فيه مخالفة لأوامر الله وشرعه، أما التكبر على الناس، فإنْ أدى إلى مخالفة أمر الله ﷻ كان كفراً، وإنْ لم يؤد إلى ذلك وكان مجرد كبر على الناس كان معصية يستحق صاحبها العذاب، لقوله ﷺ**(لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)**[1]، فالمتكبر إنسانٌ قد أُغلق قلبُه وعميت بصيرته، فلا يهتدي إلى الحق، قال تعالى:

﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الأعراف: 146]، لذلك نلاحظ أن كثيراً منْ أصناف الناس هم ضحايا للكبر والمتكبرين عليهم، المحتقرين لهم، فمثلا الشعوب الضعيفة هي ضحايا ظلم واستبداد الحكام والرؤساء، والفقراء هم ضحايا كبر الأغنياء وشحهم، النساء المقهورات هن ضحايا كبر وظلم الرجال الأقوياء، وغير ذلك من أصناف منْ حصدوا ثمرة هذه الصفة المذمومة.

والنهي عن الشيء أمرٌ بضده، فحينما نهى لقمان ابنه عن التكبر، فهو أراد بذلك أنْ يغرس في نفس ابنه صفة محمودة، وقيمة أخلاقية عظيمة، وهي خلق التواضع.

والتواضع صفة من صفات المؤمنين والمؤمنات والتي حث النبي ﷺ على الالتزام بها، فالتواضع منْ غير مذلة ولا مهانة هو خلق يليق بالعبد المؤمن أنْ يتصف به، أما الكِبر فلا يجوز له؛ لأنه بذلك ينازع ربهﷻ صفة منْ صفات الربوبية، فعنْ النبيﷺ:**(قَالَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)**[2].

ويُعبّر عنْ التواضع في القرآن الكريم بصورةٍ محببةٍ إلى النفس، وهي صورة خفض الجناح، وهذه الصورة تقابل تصعير الخد تكبراً، وهي صورة منفرة مكروهة[3]، قال تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: 215]، وقد ورد ذكر التواضع وذم الكبر في القرآن والسنة، ما بين مدح لصفة التواضع وحث للالتزام بها، وذم للتكبر ونهي عن الاتصاف به، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾ [الإسراء:37]، وقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب تحريم الكِبر وبيانه، ج65/1: حديث 275.

(2) صحيح ابن حبان، ابن حبان، ج486/12: حديث 5671.

(3) يُنظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الراغب، ص119.

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:159]، وفي الحديث قال ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)**[(1)].

وهذا الخلق من أعظم ما تميز به حبيبنا محمدﷺ وهو أشرف الخلق أجمعين، فقد عُرف بين أهله وأصحابه وقومه بأنه جمّ التواضع، وافر الأدب، يبدأ النّاس بالسلام، يجلس حيث ينتهي به المجلس، يذهب إلى السوق ويحمل بضاعته، يخدم نفسه، ويعين أهله، ويجيب دعوة الحر والعبد والمسكين، يقبل عذر المعتذر، يعفو عند المقدرة، إلى غير ذلك مما كانت سيرته ﷺ شاهدة عليه.

وقد يكون ترك التواضع هو المشروع أحياناً، لمصلحةٍ شرعيّةٍ، مثل التكبر على الكفار في الحرب إغاظةً لهم، كذلك التكبر على المتكبر منْ أهل الدنيا.

ومعلوم أنّ هناك فرق بين عزة المسلم والتكبر، وبين الذل والتواضع، فالمسلم مأمورٌ بأنْ يتواضع مع احتفاظه بعزته التي استمدها منْ عبوديته للهﷻ، فالعقيدة الإسلامية تهب لصاحبها عزة النفس، حيث يستمد المسلم هذه العزة والقوة منْ إيمانه بالله ﷻ، فالمؤمن لنْ يذل لغير الله، وهذه العزة والأنفة يصاحبها تواضع ورحمة لإخوانه المؤمنين، قال تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [المائدة:54]، إذن عزة المؤمن إيمانٌ وحق، وعزة غيره غرورٌ وفجور وكبرياء([2]).

لذلك يلاحظ أنّ المؤمن الحقيقي يدفعه إيمانه إلى التواضع للهﷻ، والتواضع لبني جنسه، والابتعاد عن الكبر والخيلاء، ثم ماذا يكون ثمرة تواضعه؟؟

"وإذا تواضع الإنسان كمُل سؤدُده، وعلا قدرُه، وتناهى فضلُه، وعظُم في القلوب قدرُه، وزاده الله شرفاً ورفعه، فمنْ تواضع لله رفعه، وإذا رفع الله عبداً فمنْ ذا الذي سيخفضه؟ "[(3)].

وهذا ما يؤكده كلام حبيبنا محمدﷺ في الحديث:**(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ)**[(4)].

---

(1) الأدب المفرد، البخاري ج1/ 153: حديث428، صححه الألباني.

(2) يُنظر: عقيدة التوحيد في القرآن، مكاوي، ص38.

(3) يُنظر: المرجع السابق، ص38.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/باب استحباب العفو والتواضع، ج21/8: حديث رقم: 6757.

إذن منْ خلال ذلك ترى الباحثة أنّ التواضع منْ أعظم علامات الإيمان الحقيقي الصادق، بينما الكِبر والغرور والخيلاء، هو خلُقٌ لا يدل إلا على خللٍ في إيمان الإنسان ونقص واضطرابٍ في شخصيته.

المطلب السادس: الصبر على مصائب الدنيا منْ صفات الأنبياء والصالحين

قال تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان:17].

لقد تقدم في المطلب الثالث منْ هذا المبحث الحديث عن هذه الآية الكريمة وبيانها[1]، وأوردت الباحثة الحديث عنْ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرورة الصبر على ما يصيب الداعية منْ أذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾

أي أنك إنْ سلكت طريق الحق في سبيل الله، فابتُليت وامتُحِنْت بأي نوعٍ منْ أنواع الأذى والإهانة والشدائد والمكاره، فاصبر على ما يصيبك، فهذا نهج الأنبياء والصالحين منْ قبلك، وهذه سنة الله ﷻ في الحياة الدنيا، والآية الكريمة وإنْ كانت تحث على الصبر لمنْ سلك طريق الدعوة إلى الله، إلا أنّ المؤمن مطالب بالصبر على كل ما يصيبه منْ مصائب وشدائد في هذه الحياة.

أولاً: تعريف الصبر لغةً واصطلاحاً:

1- **الصبر لغةً:** في المفردات للراغب الأصفهانيّ، الصبر لغة هو الإمساك في ضيق، يُقال صبرت الدابّة حبستها بلا علف.

2- **الصبر اصطلاحاً:** هو حبس النفس على ما يقتضيه العقلُ والشرعُ، أو عما يقتضيان حبسها عنه(2).

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منْ أعظم العبادات والأعمال التي يمكن أنْ يقوم بها المسلم المخلص تقرباً إلى الله ﷻ، لأنّ هذا المخلص قد عرف بقلبه وعقله مدى أهمية هذه العبادة وأثرها على صلاح واستقامة المجتمع، ولذلك تحمل الأذى والمكروه في سبيل القيام بها، مهتدياً في ذلك بهدي النبي ﷺ، ومقتدياً بطريق الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وصبرهم، كما ورد

(1) انظر : (ص48).

(2) المفردات، الراغب الأصفهاني، ج266/1.

في القرآن الكريم والسنة منْ قصصٍ تدل على شتى أنواع الفتن والعذاب التي كان يتحملها السابقون من رسلٍ وأقوامٍ بكل صبرٍ ويقين، في سبيل الحفاظ على دينهم ودعوتهم لسبيل الحقّ.

لذلك كانت وصية لقمان لولده بأن يقوم بهذا الواجب الخطير الملقى على عاتقه كمؤمن، قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، ثم يأمره بالصبر وتحمل المكروه في سبيل ذلك، ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾، ثم يؤكد له أنّ هذا هو طريق المخلصين المحبين، أولي العزم والصدق في اللقاء والعمل لله وحده(1)، ﴿**إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان:17].

فالإنسان مأمورٌ بالصبر على مكاره الحياة الدنيا وابتلاءاتها، وأكد القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد: 31]، وذلك لأنّ الصبر يعتمد على حقيقتين مهمتين، وهما: الأولى متعلقة بطبيعة الحياة الدنيا، فالله ﷻ خلق الحياة دار ممر لا دار مقر، خلقها للابتلاء والتمحيص، وهذا الابتلاء والامتحان إنّما يكون عنْ طريق الآلام والأحزان والشدائد التي يلاقيها، قال تعالى ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: 155]، فإنْ قابل ذلك بالصبر والتسليم كان ممن نجح في هذا الابتلاء، وقد يكون الابتلاء بغير ذلك، فالنعم أحياناً هي نوعٌ من الابتلاء، لذلك ورد على لسان سليمان عليه السلام، ﴿**قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: 40]، أما الثانية فهي متعلقة بطبيعة الإيمان، فالإيمان هو الرابط الذي يربط المؤمن بربهﷻ، فهذا الرابط وهذه الصلة كان لابد من اختبار يمتحن قوتها منْ ضعفها(2) قال تعالى: لا ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت: 2].

ثانياً: أنواع الصبر:

والصبر أنواع: صبرٌ على الطاعات، وصبرٌ عن المعاصي، وصبرٌ على نوازل الدنيا،

---

(1) يُنظر: سهام الإسلام، الجزائريّ، ج1/ ص150-151.

(2) يُنظر: خلق المسلم، الغزالي، ص129-130.

1- **الصبر على الطاعات:** هو صبر المؤمن على طاعته وعبادته ﷻ، ففي قوله تعالى: ﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم:65]، دليل على أنّ العبادة ثقيلة، والمؤمن مأمورٌ بالصبر عليها، فالصبر عادة يكون مقروناً بالكراهة والصعوبة[1].وقال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ [الكهف:28].

2- **الصبر عن المعاصي:** هو السلاح الذي يقاوم به المؤمن شهواته ومغريات الحياة الدنيا التي تزين للناس المعصية، قال رسول الله ﷺ: **(حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)**[2]. فالإقبال على المكاره والبعد عن الشهوات لا يكون إلا بالصبر[3].

3- **الصبر على المكاره والنوازل:** فهذه الحياة الدنيا كما ذُكِر هي دار ابتلاء وتمحيص، فلا تخلو منْ محنٍ وآلامٍ وأحزانٍ وتنغيصٍ ، بسبب ما يصيب الإنسان في نفسه أو ماله أو أهله أو منزلته، قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة:155]، والمصائب التي تقع على العبد بدون إرادته، كالمرض أو موت عزيزٍ عليه، أو سرقة ماله، أو غير ذلك، يُثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، ومنْ يتعرض للأذى بسبب الإيمان والطاعة لله ورسوله، ويُصاب بسبب ذلك كالمرض أو فراق الأهل والوطن، والحبس، والضرب والشتم، وضياع مكانة أو رياسة، وهو في ذلك على طريق الأنبياء وأتباعهم، فهذا يُثاب على ما يُؤذَى به، ويُكتب له به عملٌ صالح[4]، والصبر الممدوح هو صبر النفوس، لا الأجساد فقط، فليس الصبر الممدوح أنْ يكون الرجل صابراً عند الضرب أو رجله قوية عند المشي، أو يده قوية على العمل، بل أن يكون للنفس غلوباً، وللأمور محتمِلاً، وفي الضراء متجمّلاً[5].

ومن واجب المسلم تجاه مصائب ونوازل هذه الدنيا الصبر والتسليم المطلق لله ﷻ، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ**

---

(1) يُنظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، القصاب، ج258/2.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة/ باب حُفّت الجنة بالمكاره، ج142/8: حديث 7232.

(3) يُنظر: خلق المسلم، الغزالي، ص136.

(4) يُنظر: ابن تيمية، أمراض القلوب وشفاؤها، ج21/1.

(5) يُنظر: الأدب الصغير والأدب الكبير، ابن المقفع، ج110/1.

مّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 156-157]، أي إقرار العبد في تلك الحال بالعبودية المطلقة والملك للهﷻ، وأنّ له ﷻ أنْ يبتليه بما يشاء، فهو يفوض أمره لله ويرضى بقضائه فيما يبتليه، وقوله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالبعث والنشور، واعتراف بأنّ اللهﷻ أعدّ للصابرين الجزاء العظيم على قدر ما يستحقون وقد بيّن سبحانه ذلك الثواب والجزاء وما للصابر عند ربه ﷻ فقال ﴿أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي الثناء الجميل والبركات والرحمة[1]، فرضا العبد بالقضاء، وصبره على ذلك، هو عدّته لبقاء عزيمته، ودوام بذله وعمله، وثباته عند المحن، وهو سبيل المعونة الإلهية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]، وبه تُكفر الذنوب والخطايا، قال ﷺ: **(مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه)**[2] ، هو ضياء في القلب ، يستمد منه المؤمن قوته وطاقته ليحارب اليأس ويثابر ليحقق أهدافه وطموحاته وإنجازاته العظيمة بكل إيمانٍ ويقينٍ.

فما أحوجنا كأمةٍ إسلاميةٍ اليوم إلى صبر المؤمن القابض على جمرة في زمنٍ تتساقط فيه الفتن والمحن كقطع الليل المظلم، فاللهم ارزقنا صبراً وثباتاً يكون حبل نجاتنا في الدنيا والآخرة.

المطلب السابع: البعد عن الاغترار بزينة الحياة الدنيا والركون إليها .

قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:33].

إنّ مما أكدت عليه آيات سورة لقمان الكريمة وخاطبت به كل سامعٍ أو قارئٍ لكلام اللهﷻ، قِصر وفناء الحياة الدنيا، وأبديّة الحياة الآخرة، لذلك جاء النهيُ بشكلٍ مؤكد عن الاغترار بزينة الحياة الدنيا والركون إليها، قال تعالى:﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾، بعد أنْ أكدت في مطلع الآية الكريمة على ضرورة تقوى اللهﷻ والعمل للآخرة،

---

(1) يُنظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج1، ص114).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المرضى/ باب ما جاء في كفارة المرض، ج7/ 114، حديث رقم 5641

ليوم الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ.. ﴾

وقد تحدثت الباحثة عن وجوب التقوى في المطلب السابع من المبحث الأول[1]، منْ خلال هذه الآية الكريمة وتفسيرها بشكلٍ مفصل، أما في هذا المطلب فسيكون الحديث عنْ ضرورة البعد عنْ الاغترار بزينة الحياة الدنيا والركون إليها، مع الحرص على العمل للآخرة.

فالخطاب هنا يبدأ بالأمر بالتقوى﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ أي اتقوا الله وخافوا من سخطه وعذابهﷻ في يومٍ لا ينفع والدٌ ولده، ولا مولود هو مغنٍ عن والده شيئا، ففي هذا اليوم كلُّ نفس رهينة بأعمالها، يصير الأمر بيد الملك الجبار، فلا تنفع عنده ﷻ لا شفاعة ولا واسطة ولا وسيلة، إلا وسيلة من عملٍ صالح أسلفها هذا العبد في الحياة الدنيا، و﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فهو لا يخلف الميعاد، ثمّ يأتي التأكيد على ذلك بالنهي عن الاغترار بالدنيا أو الخداع بها، قال تعالى:﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي لا تخدعنّكم الحياة الدنيا بزينتها ومتاعها وملذاتها، فتميلوا وتركنوا إليها، وتتركوا الاستعداد لما فيه نجاتكم منْ عذاب الله في ذلك اليوم ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لا يخدعنكم بالله خادع، والغرور هو كل ما يخدع الإنسان سواء كان دنيا أو شيطان أو إنسان[2].

أولاً: العلاقة بين الإيمان والعمل للآخرة:

ومنْ خلال التدبر في الآية الكريمة، يُلاحظ أنّها ربطت بين التقوى وأهمية العمل للآخرة والبعد عن الاغترار بالحياة الدنيا، مما يدل على أنّ العلاقة طردية بين الإيمان والتقوى وبين العمل للآخرة وترك الانشغال بالحياة الدنيا.

فالتنافس على الحياة الدنيا والانشغال بزينتها ومتاعها، إنّما هو علامة وإشارة على جهل العبد بحقيقتها، وضعف إيمانه بالله واليوم الآخر، فكلما عظُمت هذه الحياة في قلب العبد وتعلق بها، كلما قلّ وضعُف عمله منْ أجل الآخرة، مما يورّث قسوة هذا القلب وضعف الإيمان [3].

أما أهل التقوى والإيمان، فتهون عليهم الدنيا، فكأنّها لا شيء، فهي أهون مما يمشون عليه من التراب.

---

(1) انظر: (ص 26).

(2) يُنظر: جامع البيان، الطبري، ج2/ 158.

(3) يُنظر: طريقك إلى تقوية إيمانك، الرويشد، ج19/1.

ثانياً: أسباب انشغال الإنسان بالحياة الدنيا:

إنّ مما يجعل الإنسان ينشغل بهذه الحياة الدنيا وملذاتها وهمومها، هو ما غُرس في نفسه وقلبه منْ محبتها وما زُيّن له منْ شأنها، وكذلك حبه للحمد والثناء والذكر من الناس.

يقول ابن قيّم الجوزيّة رحمه الله:" ما تأخر منْ تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء فيها، وثناء الناس عليه ونفرته من ذمهم، فإذا زهد في هذين الشيئين تأخرت عنه العوارض كلها" (1).

قال تعالى: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾ [التكاثر:1-2]، أي شغلكم أيها الناس التكاثر بالأولاد والأموال وغيرها والتفاخر بها عن طاعة الله وعبادته وعن الاستعداد للآخرة والعمل لها، حتى أدرككم الموت ودفنتم في المقابر (2).

أي منْ غطى قلبه بالغفلة، وضعُف عنده اليقين والإيمان، كان ممن اغتر بالحياة الدنيا وشمّر لها، وترك العمل للآخرة، قال تعالى: ﴿ **كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف: 136]، وقال ﷺ:(**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**)(3).

ثالثاً: مظاهر انشغال الإنسان بالحياة الدنيا:

ومنْ مظاهر وصور انشغال الإنسان بالحياة الدنيا، انشغاله بشهواته وما زُيّن له، من جمع مالٍ وحب نساءٍ وبنين ومساكن ومظاهر وغيرها من أمور الدنيا انشغالاً زائداً عن الحد يوقعه في المحرمات، وكذلك التباغض والتنازع على متاعها من أسباب هذا الانشغال (4).

قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران:14].

ولا يخفى على ذي لبّ فطن، أنّ ما يمنحه الله ﷻ لهذا العبد من المرغوب فيه والمحبوب من أموالٍ وبنين ومساكن طيبة وغيرها، إنّما هو فتنة واختبار أيشكر نعمة الله عليه

---

(1) مدارج السالكين، ابن القيم، ج2/ 302.

(2) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج3/ 571.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير/ باب قوله (لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم)، ج6/ 54: حديث رقم 4621.

(4) يُنظر: طريقك إلى تقوية إيمانك، الرويشد، ص20.

ويؤدي حقها، أم يكفر بها، أينخدع بهذا النعيم الزائل ويركن إليه؟ أم يعمل لأجل النعيم الأبديّ الباقي؟! قال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف:46]، وقال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾ [غافر:39] فالله ﷻ قد وصف الحياة الدنيا هنا بالمتاع، ومعلوم أنّ المتاع ما يستعمله الإنسان ويتمتع به فترة ثم ينتهي، فهذا دليلٌ على زوالها وفنائها، فلا تركنوا إليها، فتلهيكم عن الآخرة التي هي دار الخلود.

رابعاً: عاقبة من يغترّ بالدنيا وينشغل بمتاعها عن العمل للآخرة:

قال تعالى: ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)**﴾ [غافر: 50-51]

تصف لنا هذه الآيات الكريمة عاقبة وحال من اغتر بالدنيا وانشغل بها فألهته عن الإيمان والعمل الصالح فكان مصيره نار جهنم، فإذا ما استقر في نار جهنم بدأ يتوسل بكل ذلّ ويسأل أهل الجنة أنْ يعطوه شيئاً من شرابهم وطعامهم، فيكون الرد من أهل الجنة إنّ الله حرمهما على الكافرين، ويلاحظ أنّ أبرز وصف لهذا الصنف من الناس في هذه الآية أنّهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، واغتروا بالدنيا وزخرفها فركنوا إليها، وتركوا العمل للآخرة.

إذنْ أحوال الدنيا إلى زوال، وكلّ أملٍ يرجوه الإنسان في هذه الحياة الدنيا فعاقبته إلى الحزن والهمّ، إماّ بزوال هذا الأمل أو بذهاب هذا الإنسان عنه، ولابدّ منْ أحد هذين الأمرين، ولا يبقى إلا العمل للآخرة، فعقباه إلى السرور والنعيم، إماّ عاجلاً أو آجلاً[1].

خامساً: المنهج الصحيح للسير في الحياة الدنيا والتعامل مع متاعها وزينتها:

إذن ما هو المنهج الصحيح لتعامل الإنسان مع هذه الحياة الدنيا ما دام قد قُدّر له الاستخلاف فيها؟! يُلاحظ أنّ النّاس قد اختلفوا كثيراً بين الإقبال على الدنيا، أو الإدبار عنها، لكنْ ما يختاره كلُّ ذي حكمة وعقل، هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وهو أوْسط الأمور وأحبّها إلى الله ﷻ، ألا وهو الاعتدال في ذلك، لأنّ ديننا العظيم قائمٌ على الوسطية

---

(1) يُنظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، القرطبي، ج1/ 13.

والاعتدال، فالمسلم مأمور بأنْ يعيش هذه الحياة الدنيا، فلا يهجرها بالكليّة ولا يقمع شهواته فيها، وفي المقابل لا يفْرِط في الركون للدنيا واتباع الشهوات بلا قيدٍ أو شرط، بل يأخذ من الدنيا بقدر حاجته وما يمكّنه من تحقيق المقصود من وجوده فيها، ويقمع من الشهوات ما يخالف الشرع والعقل، ويشبعها ضمن ذلك، فلا إفراط ولا تفريط[1]، قال تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص:77].

وإنّ مما يعين على تذكر الآخرة والعمل لها، ويوقظ هذا القلب من غفلته، كثرة ذكر الموت، وقد روى الإمام أحمد بسنده عن الحسن، قال: **(ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رأى ذلك في عمله ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل)**[2].

وتختم الباحثة هذا البحث بالتنبيه إلى أنّ العمل للآخرة والعمل للدنيا لا تعارض بينهما ما دام كلاهما يلبس ثوب إخلاص النية لله ﷻ، فالمؤمن الصادق يجعل منْ حياته كلها عبادة لله، وعملاً صالحاً، ومزرعةً للآخرة، مما يثمر بركةً وحياةً طيبة في الدنيا والآخرة.

---

(1) يُنظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري، ج3/ 3252-3253.

(2) الزهد، ابن حنبل، ج1/ 269: حديث رقم: 1514.

أهم التوجيهات التربوية المستنبطة من هذا المبحث:

في ختام هذا المبحث، تستخلص الباحثة أهم النتائج والتوجيهات الواردة فيه من خلال سورة لقمان في النقاط التالية:

1_ وجوب شكر الله تعالى على نعمه، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه.

2_ جحود نعم الله يسيء بالمخلوق ولا يضر بالخالق.

3_ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

4_ الحث على التواضع، وتحريم الكِبر.

5_ تقرير مبدأ الطاعة بالمعروف.

6_ توجيه المؤمنين إلى الصبر على مصائب الدنيا، فالصبر من صفات الأنبياء والصالحين.

7_ الحث على البعد عن الاغترار بزينة الحياة الدنيا، والركون إليها.

المبحث الرابع

التوجيهات التربوية المستنبطة من وصايا لقمان الحكيم

ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الله تعالى، وعدم الإشراك به، لأنه ظلم عظيم.

قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان:13].

ما زال سياق الآيات الكريمة يُمطر علينا بفيضٍ من البركات والرحمات المنزّلات لتغيث أرواحنا العطشى وتنقذها من ظلمات الذل والعبوديّة لغير الله ﷻ، وتلملم شتاتها لتمضي في طريق النور والهداية فتسكن وتطمئن، وترد لهذا القلب النبض والحياة.

وتأتي هذه الرحمات والتوجيهات الربانيّة هذه المرة ضمن سياق قصصيٍّ مشوق عنْ رجلٍ وهبه الله العقل والحكمة والرشد، فكانت سببا لتخليد ذكراه، وهو لقمان الحكيم الذي أوردت الباحثة التعريف به ضمن التمهيد لهذا البحث المتواضع(1)، وقد برزت حكمة لقمان ضمن الآيات الكريمة منْ خلال الوصايا التي أوصى بها ابنه وفلذة كبده، الذي هو أولى النّاس بحكمة والده وحرصه.

وبما أنّ لقمان كان حريصاً أشدّ الحرص على توجيه ولده نحو ما فيه الخير والصلاح له، كانت أولى توجيهاته له هي **توحيد الله** ﷻ وعدم الإشراك به، فقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ** ﴾ أي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين قول لقمان لولده واعظاً أي آمراً له بالخير وناهياً وزاجراً له عن الشر بالتخويف والترهيب، محذراً له من الشرك بالله ﷻ، وهو ما جئتكم به فلم تنتهوا عن الشرك مكابرةً وعناداً (2).

وقد ابتدأ لقمان وصيته لولده بالتركيز على قضية التوحيد، لكي يحافظ على نقاء الطبيعة والفطرة التي خُلق عليها، لأنّ الشرك بالله ﷻ يلوث ويشوه فطرة الله التي خلق الناس عليها، وهي الإيمان والتوحيد، ثم كان التخويف والترهيب خلال هذا الوعظ متمثلاً في تعليل ذلك الأمر وبيان حكمته، ليكون أكثر تأثيراً وأوقع في نفس ولده، وأدعى إلى الاستجابة، حيث

---

(1) انظر: (ص 9).

(2) يُنظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج2/ 716.

يدرك خطورة الشرك وعواقبه، فيبتعد عنه، وكان ذلك من حكمة لقمان أنْ يقرن النهي بعلته وحكمته، فقال ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ ، فسمى الشرك هنا ظلماً ووصفه بالعظيم، وقد سماه ظلماً لأنّ الظلم معناه نقل حق الغير إلى الغير، أو وضع الشيء في غير موضعه، وقمة الظلم أنْ تأخذ حق الله في العبوديّة وتعطيه لغير الله(1)، أمّا كونه أعظم الظلم فلأنّه متعلق بالتوحيد وهو أصل الاعتقاد، فالمشرك يسوي بين الخالق والمخلوق، وبين المنعم وحده وغير المنعم(2).

وقد ورد عن النبيّ ﷺ، **أنّه (لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾** [الأنعام: 82] **شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)**(3) .

فالآية الكريمة ركزت على قضية عقدية مهمة، بل هي الأصل في صحة عقيدة المسلم وهي التوحيد وعدم الشرك بالله ﷻ، ومعلوم أن التوحيد وصية الأنبياء جميعاً إلى أممهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]، فوصى بها النبيون أممهم وأقوامهم من لدن آدم عليه السلام إلى بعثة محمد ﷺ، لذا ستتحدث الباحثة في هذا المطلب باختصار عن توحيد الله ﷻ.

أولا: تعريف التوحيد لغة واصطلاحا:

1_تعريف التوحيد لغة: هو **الحكم بأنّ الشيء واحد والعلم بأنّه واحد** (4)، أو **جعل المتعدد واحداً، ويُطلق على اعتقاد أنّ الشيء واحد متفرد**(5).

2_تعريف التوحيد اصطلاحاً: تعددت التعريفات الاصطلاحية لمصطلح التوحيد عند العلماء، ويلاحظ أنها تدور حول نفس المعنى والمضمون، فمنها: هو **إفراد الخالق بالعبادة ذاتاً وصفةً وأفعالاً**(6)

---

(1) يُنظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج2/ص7266.

(2) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج145/21.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير/ باب قوله تعالى[ولقد ءاتينا لقمان الحكمة]، ج164/4: حديث رقم: 3429.

(4) التعريفات، الجرجاني، ص96.

(5) مذكرة التوحيد، العفيفي، ص3.

(6) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد، المحلاوي، ج15/1.

أو هو **تفرد الله بالربوبيّة والألوهيّة وكمال الأسماء والصفات** [1].

ثانياً: أقسام التوحيد وأهميته:

1- أقسام التوحيد:

من خلال النظر في التعريفات، يُستنتج أن التوحيد يتضمّن ثلاثة أقسام[2] وهي: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أ- **توحيد الربوبية:** يعني الإقرار بأنّ الرب خالق كل شيء، مثل الخلق والرزق، الإحياء والإماتة، وتدبير الأمور وإنزال الغيث، ونحو ذلك.

وهذا النوع من التوحيد أقرّ به الكفار على عهد النبيّ ﷺ، لكن لم يدخلهم في الإسلام، قال تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [لقمان: 25]، فالكفار يؤمنون أنّ الله هو الخالق، ولكنهم لا يوحدونه ويعبدون أوثاناً تقربهم إلى الله زلفى.

ب-**توحيد الألوهية:** توحيد الله ﷻ وإفراده بأفعال العباد التي تعبّدهم بها، وشرعها لهم، مثل الدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة ونحو ذلك.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي أنكره وجحده الكفار، وكان عليه الخلاف بين الرسل وأممهم على مر التاريخ، منذ زمن نوح عليه السلام.

ت-**توحيد الأسماء والصفات:** هو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الصحيحة، من صفات الله ﷻ التي وصف بها نفسه على الحقيقة، وعدم التعرض لها بشيء من التحريف أو التعطيل أو التكييف أو التشبيه، أي الاعتقاد والإيمان بأنّه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

2- أهمية التوحيد:

إنّ مما يدل على أهمية التوحيد، أنّه أول دعوة الرسل والأنبياء إلى عبادة الله ﷻ، فما بعث الله رسولاً ولا نبيّاً، إلا ودعا قومه إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: 36]، كذلك أنّ النبي ﷺ دعا إليه عشر سنين،

---

(1) يُنظر: مجموع الفتاوى، ابن باز، ج34/1، مذكرة التوحيد، عفيفي، ص3.

(2) يُنظر: مذكرة التوحيد، عفيفي، ص 59-62.

وذلك قبل أنْ تُفرض عليه الفرائض والعبادات، فكانت الفترة المكية قد رُكّزت الدعوة فيها على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس، ونزع عقيدة الشرك والوثنية، مما يدل على عظمة شأنه، وأنّه الأصل في صحة الإيمان وقبول الأعمال[1].

إذن تخلص الباحثة من خلال ذلك أنّ التوحيد يُعدّ من أعظم النعم التي أنعم الله بها عباده الضعفاء، لما فيه من الخير لهذا العبد الموحد، في الدنيا والآخرة، فالتوحيد يحفظ ويعصم نفس المسلم من الهلاك والضياع في الدنيا، ومن العذاب والخلود في نار جهنم في الآخرة، فالموحد إذا صح إيمانه وتوحيده لله ﷻ، لا يرى الوجود ولا ينظر إلى ما حوله إلا من خلال ذلك، فهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ بيده ملكوت السموات والأرض، هو الخالق والمدبر والمتصرف تصرفاً مطلقاً بهذا الوجود بقدرته وحكمته وسعة علمه، إذا أراد أن يقول للشيء كن فيكون، فينتهي ذلك الموحد إلى التسليم المطلق والعبوديّة التامة لله ﷻ ويخرج من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فيناله من الخير ما يناله، من دفاع الله عنه، ونصرته له وتيسيره وتوفيقه ورزقه وجنته ونعيمه.

قال ﷺ: **(أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «نَعَمْ»)**[2].

اللهم اجعلنا من عبادك الموحدين، وأغدق علينا بنعمة الثبات، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

ثالثاً: صور من الشرك بالله ﷻ، وعواقبه:

إنّ منْ أعظم صور الشرك أنْ يساوي العبد بين الخالق المعطي ﷻوعبده المخلوق، أو يعبد معه مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة، ويجعل لله ندّاً ويصرف شكر النعم لغيره وهو الرزاق، ومن الشرك التقرب للموتى وقبور الصالحين والأولياء بدعائهم والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم، والطواف بقبورهم والحلف بهم، وغير ذلك.

ومن الصور الشركيّة في زمننا، ما نراه للأسف من اتّباع لليهود والنصارى بالتشبه بهم، ومشاركتهم شركهم، كالاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الدينية، وكذلك الرضى عنهم والتودد لهم،

---

(1) يُنظر: التوحيد وأثره في حياة المسلم، الحريقي، ج9/1.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون/ باب أداء الدين، ج116/3: حديث رقم: 2388.

والركون إلى ما عندهم من الغفلة عن الله والآخرة، قال ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ)**[1] .

فمن كان الشرك طريقه كانت عاقبته الخسران العظيم، لأنّ الشرك أعظم المعاصي، وهو من أكبر الكبائر، قال ﷺ: (**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ**)[2]، والشرك سببٌ في بطلان العمل، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر:65].

وكل ذنبٍ قد يغفره اللهﷻ إلا الشرك، فإنّه لا يُغفر لصاحبه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:48]

رابعا: أمثلة على آيات التوحيد في سورة لقمان:

1- **قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان:13]، وهنا دعوة لقمان الصريحة لولده بتوحيد الله وعدم الشرك به، وبيان أنه أعظم أنواع الظلم.

2- **قال تعالى: ﴿ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [لقمان: 25]، استفهام توبيخ لمن ينكر وجود الله الواحد الأحد، يدفعهم للإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الموجد.

3- **قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾** [لقمان: 10]، وتعرض هذه الآية الكريمة بعض مظاهر قدرة الله تعالى لتقود المنكرين إلى توحيد اللهﷻ.

(1) الأدب المفرد، البخاري، باب فضل الدعاء، ج1/ 250: حديث رقم: 716، صححه الألباني.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشهادات/ باب ما قيل في شهادة الزور، ج3/ 172: حديث رقم 2654.

4- قال تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [لقمان:11]، ويستمر السياق في توبيخ المشركين وبيان ظلمهم الواضح بشركهم بالله تعالى وعدم توحيدهم.

المطلب الثاني: بر الوالدين، واقتران شكر الله بشكر الوالدين

إنّ منْ أعظم العبادات التي أوجبها الله ﷻ على المسلم، وأكدّ عليها بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة برّ الوالدين والإحسان إليهما، فقد تجلت عناية القرآن الكريم بالإحسان إلى الوالدين في أكثر من موضع، منها قوله تعالى ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ [الإسراء: 23]، وفي السنة عن ابن مسعود ﷺ **قَالَ قُلْتُ يَا نَبِىَّ اللَّهِ أَىُّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ « الصَّلاَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا ». قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِىَّ اللَّهِ قَالَ « بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ». قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِىَّ اللَّهِ قَالَ « الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ »**[1].

وبر الوالدين يكون بالإحسان إليهما وطاعتهما في غير معصية الله تعالى، والتودد والتلطف، والرأفة بهما، ومخاطبتهما باللين، ومعاملتهما بالشفقة والرحمة، وحسن انتقاء الألفاظ عند الحديث معهما، والابتعاد عن أي لفظٍ قد يؤذيهما، حتى أقل كلمة قد تقال عند التضجر وهي كلمة أفّ فمنهيّ عنها مع الوالدين ﴿ **فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا**﴾ [الإسراء: 23][2].

فبر الوالدين يكون بالأقوال والأفعال، "لأنّ لهما حق الرحم المطلقة، وحق القرابة الخاصة، إذ أنت جزء منه، وهو أصلك الذي أوجدك"[3].

ولا يقتصر بر الوالدين فقط على البر في حياتيهما، بل البر أيضا يكون بعد الممات، بالدعاء لهما مثلا ، والصدقة عن روحيهما .

(1) صحيح مسلم، مسلم، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج63/1: حديث رقم 263.

(2) يُنظر: مناهج المدينة، الحديث الموضوعي، ج369/1.

(3) أحكام القرآن، ابن العربي، ج544/1.

ويُلاحظ أنّ الوصية ببر الوالدين قد وردت ضمن وصايا لقمان لابنه، وقد جاءت بعد الأمر بعدم الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان: 14].

فقوله تعالى ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ**﴾ أي عهدنا له آمرين إيّاه ببر والديه، أي ببذل المعروف لهما وكف الأذى عنهما، ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ**﴾ في بطنها تسعة أشهر، ﴿**وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ**﴾ أي ضعفاً على ضعف [(1)]، وقد خص الأم بالذكر هنا، دلالة على عِظم مكانتها لشدة ما تتحمل من آلام ومتاعب في حمل وولادة وإرضاع وتربية وغير ذلك.

ثم ختم الآية الكريمة بالأمر بشكر الوالدين، وقد قرنه بشكر الله تعالى ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان: 14]، والمعنى وصيناه بأنْ اشكر لي ولوالديك، و(**أنْ**) بمعنى أي ، وهو تفسير الوصية، وتنبيه على وجوب شكر الله المنعم على ما تفضّل به عليك، فهو الذي خلقك وسواك، ثم شكر الوالدين بالإحسان إليهما والبر بهما وإكرامهما، فهما سبب في نشأتك ولهما حق التربية عليك، فمن لم يشكر الوالدين لم يشكر الله[(2)].

ونلاحظ في الآية الكريمة اقتران شكر بشكر الوالدين، وفي ذلك دلالة واضحة على تعظيم حقهما، ووجوب البر والإحسان إليهما[(3)].

وقد ذكر البوطيّ في (من روائع القرآن) :" وإنّما جعل رتبة الوالدين إثر رتبة توحيد الله وعبادته، لأنّ الله هو المسبب الحقيقي لوجود الإنسان وعيشه وارتزاقه، والوالدان هم السبب الجعلي والظاهري لكل من الوجود والعيش"[(4)].

﴿ **إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان: 14]، أي إليّ لا لغيري في الآخرة، وفي ذلك تحذير من عقوق الوالدين، وحث على البر بهما لنيل الثواب العظيم في الآخرة، وإلا عوقب على غير ذلك.

وطاعة الوالدين مرهونة بطاعة الله، فمن واجب الابن البر بالوالدين، إلا إذا أمراه بمعصية الله ﷻ فتسقط عنه طاعتهما، لأنه إذا سقط حق الخالق لا يثبت حق الوالدين، لأنّ الله قرن شكرهما بشكره، فإذا دعوا الابن إلى معصية الله فهما بذلك أبطلا شكر الله فانحلّ

---

(1) يُنظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج717/2.

(2) يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الأصبهاني، ج958/1، بيان المعاني، العاني، ج483/3.

(3) يُنظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج155/3.

(4) من روائع القرآن، البوطي، ج258/1.

شكرهما المقترن بشكره ﷻ[1]، قال تعالى ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان: 15]، ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ**﴾ أي أجبراك، ﴿**عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي**﴾ شيئاً، ﴿**مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ من الأوثان المختلفة، وأمراك أن تعبدها معي أو من دوني، ﴿**فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾ في هذا، ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ أي رغم ذلك يجب أن تقدم الإحسان إليهما وتحرص على البر بهما[2].

ويستنتج من ذلك ويُفهم وجوب طاعتهما في كل ما يأمران سوى الشرك ومعصية الله، لأنّ توحيد الله وطاعته مقدمة على كل شيء، وهذا يدلل على عظيم حق الوالدين، ومكانة البر بهما في الإسلام.

المطلب الثالث: اتباع سبيل الأنبياء وأتباعهم، من صفات المؤمنين

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان:15]

بعد أنْ أمرت الآية الكريمة بطاعة الوالدين والإحسان إليهما إلا في الشرك بالله تعالى، قرنت ذلك بأمر آخر وهو قوله تعالى ﴿ **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[لقمان: 15]، وقد نزلت هذه الآية في أبي بكرؓ، **قال عطاء عن ابن عباس: (يريد أبا بكر، وذلك حين أسلم أتاه عبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير، فقالوا لأبي بكر: آمنت وصدقت محمدا ﷺ، فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول اللهﷺ، فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى يقول لسعد: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني أبا بكر)**[3].

---

(1) يُنظر: درة التنزيل، الأصبهاني، ج998/1.

(2) يُنظر: بيان المعاني، العاني، ج3/ 483.

(3) أسباب النزول، الواحديّ، ج1/ 358.

وقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ أي "واسلك طريق من رجع إلى الله ﷻ بالتوحيد والطاعة والعمل الصالح"[1]، **و** ﴿**أَنَابَ**﴾ أي رجع إلى ربه وتاب عليه، و(المنيب) الراجع إلى ربه، السالك طريق الاستقامة، قال تعالى ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾ [سبأ:9][2].

وفي قوله تعالى ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾، دليل وإشارة إلى ضرورة سلوك طريق الصالحين واتباعهم، والاقتداء بالسلف الصالح ﷺ، لأنّ من يتبع آثار الصالحين يصل بفضل وبركة متابعتهم إلى طريق الحق، وخير دليلٍ على ذلك، ما نراه من ذكر القرآن لكلب أصحاب الكهف بالخير بفضل اتباعه للصالحين[3]، وقد قال ﷺ:(**هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**)[4].

وقد ذكر الجصاص في كتابه(أحكام القرآن)، "أنّ قوله تعالى ﴿ **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ يدل على صحة إجماع المسلمين لأمر الله تعالى إيّانا باتباعهم"[5]، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى من وجوب اتباع الكتاب المنزّل والنبي المرسل، وسبيل منْ أناب إلى الله ﷻ[6]، وهناك قولٌ بأنّ المقصود بمن أناب إليّ، الأنبياء، فمن دونهم الأمثل فالأمثل وتخلّق بأخلاقهم في الدنيا واتبعهم، لأنّ المنيبين بالدرجة الأولى هم الأنبياء[7].

وفي المقابل، إنّ الأمر باتباع سبيل المؤمنين فيه تحذير ونهيٌ عن تقليد الكافرين والفاسقين، أو سلوك طريقهم، لأنّ التقليد يكون بغير فهم، بخلاف الاتباع الذي يكون على بصيرةٍ ونور، لذلك قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: 28]، وقال تعالى: ﴿ **فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾[طه:16].

---

(1) صفوة التفاسير، الصابوني، ج2/ 452.

(2) روائع البيان، الصابونيّ، ج2/ 238.

(3) يُنظر: روائع البيان، الصابوني، ج2/ 242)، وتفسير التستري، التستريّ، ص123.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الدعوات/ باب فضل ذكر الله، ج8/ 86: حديث رقم: 6408.

(5) أحكام القرآن، الجصاص، ج2/ 219.

(6) يُنظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج6/ 258.

(7) يُنظر: بيان المعاني، العاني، ج3/ 483.

إذن في تلك إشارة إلى أنّ أول الاستقامة اتباع وصحبة العلماء بالله تعالى، ومن أقبل على ذكره ﷻ، وضرورة الابتعاد عمن تجلب صحبتهم مفسدة القلوب، ومضرة الحال والمآل، كالجاهل والمبتدع والفاسق وغيرهم[1].

ومن خلال النظر في الأدلة وأقوال العلماء، ترى الباحثة أن الإنابة فرضٌ على كل مؤمن، وهي التوبة والرجوع إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [الزمر:54]، فالمنيب هو التائب الراجع إلى الله، النادم على ما فرط، وبدر منه من المخالفات والسيئات، وأنّ من الواجب اتباع سبيل المنيبين إلى الله ﷻ، لأنّ الإنابة من مقتضيات الإيمان وكماله.

المطلب الرابع: بيان سعة علم الله تعالى وشموله

إنّ الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، مما لا تكتمل شخصية المسلم الإيمانية إلا بالاعتقاد به اعتقاداً صحيحا راسخاً في القلوب، لذلك فإنّ من واجب المربي غرس هذه العقائد في نفس من يربيه منذ الصغر، فيستقيم سلوكه وينضبط وفق ما شُرّع له.

وقد تضمنت آيات سورة لقمان هذه المعاني التربويّة العظيمة، ومنها بيان سعة علم الله تعالى وشموله، فنجد ذلك في وصايا لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾[لقمان: 16] ، في هذه الآية يريد لقمان الحكيم أن يدل ولده على صفة من صفات الله تعالى، وهي صفة العلم المطلق، الذي شمل كل شيء وأحاط فلا تخفى عليه خافية ، وكأنّ ذلك خطابه لولده يتضمن تحذيرا له من أنْ يظن أنّ ما يخفى الناس يخفى على الله تعالى، ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك :14] [2] .

فقوله تعالى ﴿**إِنَّهَا**﴾ [لقمان: 16] أي الخصلة من الإحسان أو الإساءة، المعاصي أو الطاعات، المظلمة أو الخطيئة، ﴿**إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**﴾ أي إنْ تكن في وزنها وصغرها كوزن حبة الخردل، حيث كان يضرب المثل في القلة بحبة الخردل حيث قيل أنها لا ترجح في الميزان ولا يُدرَك لها بالحس ثقل، وفي ذلك إشارة إلى دقة الحساب الذي يصور حبةً

---

(1) يُنظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب، الحارثي، ج2/ 391.

(2) يُنظر : تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11650.

من خردل، صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة، ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ محشورة وسط أضيق مكان كالصخرة الصماء، لا تظهر ولا يمكن الوصول إليها، ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أو في ذلك الفضاء الشاسع الهائل والمتسع الذي لا حدود له، ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ضائعة بين ذرات الأرض وحصاها لا يمكن تبيّنها، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ لسعة علمه ، فعلمه يلاحقها وكمال قدرته لا تفلتها[1].

و"استصحب حيثيّات الإتيان بوصفين لله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ فمهما صغرت الأشياء ودقّت يصل إليها، فهو خبير بكل شيء مهما صغر، قادر على الإتيان بها مهما دقت لأنه لطيف لا يمنعه مانع، فصفة اللطف للتغلغل في الأشياء"[2] ، واللطيف من يعلم حقائق الأشياء ويسلك في إيصالها إلى من تصلح به مسلك الرفق، فهو" وصف مؤذِن بالعلم والقدرة الكاملين، أي يعلم وينفذ قدرته"[3] .

فالمعنى أنه سبحانه بعلمه الواسع الذي لا حدّ له، يأت بالحسنة أو السيئة يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، ويجازي عليها العباد، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة: 7-8].

إذن ترى الباحثة أنّ هذه الآية الكريمة من السورة توجه الإنسان إلى ملاحظة سعة قدرة الله تعالى وعلمه المحيط بكل شيء، واستشعار رقابته تعالى الذي يعلم السرّ وأخفى، والذي أحصى كل شيء عددا، قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59] .

ومن الآيات التي دلت كذلك على سعة علم الله تعالى في سورة لقمان، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34].

فهذه الآية الكريمة قد تضمنت مفاتح ومخازن الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد سبق الحديث عن هذه الغيبيّات الخمس في المطلب الثامن من المبحث الأول من

---

(1) يُنظر : تفسير الظلال، قطب، ج 5/ 2789) ، تفسير السعدي، السعدي ، ص648.

(2) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11650-11653.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 164.

هذا البحث[1]، وقد يُطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية بإذنه سبحانه، وهذه الأمور الخمسة من الأمور التي أخفى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبيٌ مرسل ولا ملك مقرب أو غيرهما. وبعد أن خصص الله هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ محيط بعلمه التام بالظواهر والبواطن والخبايا والخفايا والسرائر، ومما دل على حكمته التامة أن أخفى علم هذه الخمسة عن عباده، لأنّ في ذلك من المصالح ما لا يخفى[2].

إذن يُلاحظ أنّ حديث القرآن عن سعة علم الله ﷻ ، وإحاطته الشاملة بكل ما كان وما سيكون، يكشف لنا بوضوح عظمة اسم الله العليم، وأنّ اتصافه ﷻ بالعلم من صفات قيوميّته ، والتي تتكامل وتتلازم مع باقي صفات الله في الإحاطة بهذا الكون.

وهذا بالتالي، يرسخ في قلب المؤمن هذه الحقائق العظيمة، مما يملأ قلبه إجلالاً وتقديساً لربه ﷻ ويوقظ فيه اليقظة والتقوى والمراقبة في السر والعلن.

المطلب الخامس: إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور

قال تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: 17].

وينتقل لقمان الحكيم من تعليمه لولده أصول العقيدة الصحيحة وترسيخها في نفسه، إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة التي تصح بها عقيدته ويكتمل إيمانه، وعلى رأسها الصلاة، فنراه يدعوه إلى إقامتها بقوله : ﴿**يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ**﴾ ، وقد تحدثت الباحثة عن إقامة الصلاة في موضع آخر من البحث[3]، ويعطف على الأمر بإقامة الصلاة الأمر بواجب مهم من واجبات المسلم، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ ، والأمر بالمعروف يشمل الإتيان بالأعمال الصالحة كلها إجمالاً، كما يشمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة، ومن يقم بهذا أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي منه ذلك إتيان الأمر وانتهاءه في نفسه، إذن فإنّ هذه الوصية من لقمان لولده تُعتبر

---

(1) انظر: (ص28) من الرسالة.

(2) يُنظر: تفسير السعدي، السعدي، ص653.

(3) انظر (ص38) من الرسالة.

كلمة جامعة من الحكمة، حيث جمع لابنه الإرشاد إلى فعل الخير وبثه في النّاس، وكفه عن الشر وزجره الناس عن إتيانه[1].

وقد تقدم الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مطلب سابق[2].

﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ يأمر ولده بالتحلي بالصبر على ما قد يلاقيه في سبيل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من ابتلاءات وصعوبات.

وقد تحدثت الباحثة أيضا عن خلق الصبر في مطلب مستقل، وهو المطلب السادس من المبحث الثالث (التوجيهات التربوية الأخلاقية) [3].

المطلب السادس: الإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين من صفات المجرمين

وتستمر الوصايا الأبوية الأخلاقية، فنرى لقمان ينهى ولده عن خلقٍ مذموم ألا وهو الكِبر واحتقار الآخرين، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان : 18].

والمعنى لا تُمِل وتعرض بوجهك عن الناس إذا كلموك، تكبراً واحتقاراً لهم، بل كن متواضعاً هيناً ليناً سهلاً منبسط الوجه[4]،**عَنْ سُلَيْمِ بْنِ جَابِرٍ الْهُجَيْمِيِّ ﷺقَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّﷺ وَهُوَ مُحْتَبٍ فِي بُرْدَةٍ، وَإِنَّ هُدَّابَهَا لَعَلَى قَدَمَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ لِلْمُسْتَسْقِي مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَائِهِ، أَوْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَلَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَإِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ مِنْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ مِنْهُ، دَعْهُ يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ، وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلَا تَسُبَّنَّ شَيْئًا» ، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدُ دَابَّةً وَلَا إِنْسَانًا**[5].

---

(1) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 164-165.

(2) انظر: (ص49) من الرسالة.

(3) انظر: (ص58) من الرسالة.

(4) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/ 156.

(5) الأدب المفرد مخرجا، البخاري، باب الاحتباء، ج1/ 403: حديث رقم 1182، صححه الألباني.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: 37]، قال الشنقيطي: "نهى الله جل وعلا الناس في الآية عن التجبر والتبختر في المشية، أي لا تمش في الأرض حال كونك متبختراً متمايلاً مشي الجبارين"[(1)].

ولا شك أن من احتقر الناس، ومشى مشي الخيلاء والتبختر والتفاخر، كان عُرضةً لعذاب الله ﷻ، لذلك أكدت فاصلة الآية الكريمة على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان : 18]، فتلك المشية يبغضها الله تعالى ، ويبغض كل مختال في نفسه وفخورٌ على غيره، ومن حُرِم محبة الله فقد حُرم الخير العظيم والتوفيق والرضا والثواب الجزيل، وكان من المجرمين الذين عرّضوا أنفسهم لعذاب الله وسخطه.

وقد أوردت الباحثة الحديث عن هذه الآية بشكل مفصل وبيان معنى الصّعر، وأصله في اللغة، وكذلك الحديث عن صفة التكبر في موضع سابق، وذلك في المطلب الخامس من المبحث الثالث(التوجيهات التربوية الأخلاقية) [(2)].

المطلب السابع: القصد في المشي وغضُّ الصوت مِنْ تواضع المؤمنين

في الآية السابقة أكدّ لقمان الحكيم على نهي ولده عن خلق التكبر وتحقير الآخرين، سواء بأسلوب كلامه أو طريقة مشيته، فنهاه عن تصعير الوجه وإعراضه عن النّاس عند كلامه معهم، وكذلك نهاه عن مشية التبختر والخيلاء.

وقد جاء تأكيد هذه المعاني بتوجيهات أخرى من لقمان في قوله تعالى: وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19].

أولاً: القصد في المشي: فترى لقمان يأمر ولده بالقصد في المشي، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، والقصد التوسط ما بين الإسراع والبطء، أو الإقبال على الحديث إقبالاً لا نقيض فيه لطرفين، أي توسطاً واعتدالاً[(3)].

إذن معنى اقصد في مشيك، كن معتدلاً متوسطاً بين طرفي الإسراع والبطء، فلا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطّار[(4)]، وهذه المشية هي مشية المؤمن المتواضع الوقور،

---

(1) أضواء البيان، الشنقيطي، ج3/ 156.

(2) انظر: (ص 55) من الرسالة.

(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19 / 11676.

(4) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14/ 71.

وقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بذلك، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

ثانياً: غضّ الصوت: قال تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ، والغض نقص قوة استعمال الشيء، يُقال غضَّ بصره إذا خفض نظره فلم يحدّق، وغض الصوت جعله دون الجهر، وجيء بمِنْ للدلالة على التبعيض لإفادة أنّه يغض بعضه أي بعض جهره، أي ينقص من جهورته، ولكنّه لا يبلغ به إلى التخافت والسرار[1]، فالأمر بغض الصوت يعني اخفض صوتك وانقص منه ولا تتكلف رفعه فيما لا فائدة منه، وخذ منه ما تحتاج إليه، لأنّ التكلف والجهد في رفع الصوت وشدته لغير حاجة يسبب الأذى[2]، فهو يؤذي آلة السمع مِن جهة، ومِن جهة أخرى فإنّ رفع الصوت يدلّ على الغرور والتكبر والاستخفاف بالغير وعدم الاكتراث بهم، بينما خفض الصوت واعتداله فيه دلالة على التواضع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3]، وكذلك وقار للمتكلم وأقرب لفهم الكلام واستيعابه[3].

وقد علّل هذا النهي عن رفع الصوت، وبيّن قبح هذا الفعل، بأنّه يشبه صوت الحمير في علوّه ورفعه ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]، وفي ذلك ذم لرفع الصوت من غير حاجة، ومِنْ جهة أخرى قال العلماء أنّ في هذه الآية إعجاز علميّ، حيث أثبت العلم الحديث أنّ صوت الحمير له شدّة عالية في مقياس الأصوات، مما يجعل الإنسان مهدّداً بفقدان سمعه إذا تعرّض لسماع صوت الحمير لفترة طويلة، وقد يسبب أيضاً مشاكل نفسية وصحية في جسد الإنسان، لهذا ربط الله ﷻ وصية لقمان لابنه في الغض من الصوت مع صوت الحمير، إظهاراً إلى مدى الإزعاج والأذى الذي يسببه الصوت المرتفع[4].

وتختم الباحثة بأنّ خفض الصوت لمستوى الحاجة مِن أخلاق الإسلام وقيمه التي دعا الناس إليها، وعلى المسلم أنْ يتحلى ويلتزم بها، وتعتبر صورة من صور الإعجاز التشريعيّ الإسلامي.

---

(1) التحرير والتنوير، الزحيلي، ج21/ 168.

(2) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14/ 71، التفسير المنير، الزحيلي، ج 21/ 151.

(3) يُنظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج5/ 220، التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 151.

(4) الإعجاز في قوله "واقصد في مشيك" موقع سطور (موقع إلكتروني).

أهم التوجيهات التربوية المستنبطة من هذا المبحث:

تعتبر وصايا لقمان لابنه كنز من التوجيهات التربوية اشتملت عليها السورة، يمكن تلخيصها بشكل مختصر فيما يلي:

1_ التأكيد على تقرير عقيدة التوحيد التي تحفظ المسلم وتعصمه من الهلاك والضياع.

2_ وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما.

3_ ضرورة اتباع سبيل الأنبياء وأتباعهم.

4_ بيان سعة علم الله تعالى وشموله.

5_ بيان أهم الأعمال الصالحة التي تصح بها العقيدة الإسلامية، مثل إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6_ الحث على القصد في المشي، وغض الصوت.

الفصل الثاني

الأساليب البيانية والبلاغية في التوجيهات التربويّة في سورة لقمان

الفصل الثاني

الأساليب البيانية والبلاغية في التوجيهات التربويّة في سورة لقمان

الأسلوب: هو "الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"[(1)].

ومعنى أسلوب القرآن: "هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"[(2)].

وليس من الغريب أن نجد للقرآن أسلوباً خاصاً به، فإن كان للكلام البشري طرقه وأساليبه في العرض، فكيف بكلام رب البشر وإلههم؟ فسبحانه جل شأنه وتميز قرآنه، وفي هذا الفصل سنفصل الحديث عن بعض أساليب كتاب الله في سورة لقمان.

المطلب الأول: أسلوب المجاز والصور البيانيّة

إن القرآن الكريم كما نعلم معجزةٌ بيانية، فهو كلام الله تعالى الذي تحدى به محمد ﷺ لغة العرب، فنزل بلسانهم وعلى أفصح لغاتهم ولهجاتهم، قال تعالى: ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الزمر: 28]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف:2].

لذلك نجد أنّ آيات القرآن الكريم قد زخرت بالأساليب البيانية والبلاغيّة ، ومن هذه الأساليب وأبرزها أسلوب المجاز والصور البيانية والذي سنتحدث عنه في هذا المطلب.

أولاً: تعريف المجاز:

لغة اسم المكان كالمطاف والمزار، والألف فيه منقلبة عن واو بمعنى التجوّز، **اصطلاحاً** استعمال اللفظ في غير ما وُضِع له في الأصل، لعلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجاز، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[(3)].

---

(1) مناهل العرفان، الزُّرقاني، ج2/ 303.

(2) المرجع السابق، ج2/ 303.

(3) مدخل تفسير التحرير والتنوير، الحمد، ج1/ 43، يُنظر: الأساليب والإطلاقات العربية، الميناوي، ج1/ 5.

وقد ورد أسلوب المجاز والصور البيانية في سورة لقمان في عددٍ من الآيات نذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [لقمان: 6].

ففي قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾ استعارة تصريحيّة، "حيث شبه حال الإنسان الذي يستمع للغناء واللهو بحال منْ يشتري سلعة هو خاسر فيها، واستعار لفظ يشتري لمعنى يستبدل بطريق الاستعارة"[(1)].

2-قوله تعالى: ﴿ **كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [لقمان: 7].

تشبيه مرسل مجمل، حيث شبه حال الكافر الذي لا يستجيب للقرآن بحال من في أذنيه وقراً وهو الصمم، حذف منه وجه الشبه وذكر فيه أداة التشبيه[(2)].

3-قوله تعالى : ﴿**وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ **[:لقمان: 19]**

استعارة تمثيليّة، شبه الرافعين أصواتهم بصوت الحمير في القبح ولم يذكر أداة التشبيه، وإنّما أورده بطريق الاستعارة " للمبالغة في الذم والتنفير من رفع الصوت"[(3)].

4- قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: 22].

مجاز مرسل في ﴿**وَجْهَهُ**﴾ من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل، ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ تشبيه تمثيلي "شبه من تمسك بالإسلام بمن أراد الصعود إلى قمة جبل، فتمسك بأوثق حبل، وحذفت أداة التشبيه للمبالغة"[(4)].

المطلب الثاني: أسلوب التقديم والتأخير

ومن الأساليب التي كانت سمة من سمات السياق القرآني أسلوب التقديم والتأخير، وهو أحد أساليب العرب التي أتوْا بها قبل أنْ يُنزلَ اللهُ تعالى كتابه على نبيّه ورسوله محمدﷺ؛ لتدللَ

---

(1) صفوة التفاسير، الصابوني، ج2/ 449، يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 130.

(2) يُنظر: المرجع السابق، ج2/ 449.

(3) التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 142.

(4) التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 162، صفوة التفاسير، الصابوني، ج2/ 458.

على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وهو مما له في القلوب موقع حسن، ومذاقٌ عذبٌ[1]، لذلك يصف لنا الجرجانيّ في دلائل الإعجاز هذا الأسلوب فيقول:" هو بابٌ كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطُف عندك أن قُدِّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان"[2].

وللتقديم والتأخير أسبابٌ كثيرة، منها:

1- أن يكون أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول.

2- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة.

3- أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى.

4- أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه.

5- لعظمه والاهتمام به، وهذا من عادة العرب حيث إنّهم يبدؤون بالأَوْلى والأهم.

6- الاختصاص.

7- أنْ يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور[3].

ومن الآيات التي استُعمل فيها أسلوب التقديم والتأخير في السورة:

1-،2- قوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [لقمان: 14-15].

ففي قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر، أي إليّ لا إلى غيري[4].

---

(1) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3/ 233، يُنظر: فهم القرآن، الحارث المحاسبي، ج1/ 476.

(2) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص106.

(3) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3/ 234-236.

(4) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 142.

3- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22].

أيضا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ تقديم ما حقه التأخير، حيث قدم الجار والمجرور إلى الله على المبتدأ عاقبة لإفادة الحصر[1].

المطلب الثالث: أسلوب الإطناب

يُعتبر أسلوب الإطناب من الأساليب التي ميزت كتاب الله ﷻ المعجِز ببلاغته وقوة تراكيبه، حيث لكل لفظة في القرآن الكريم معناها وقيمتها ووقعها، بلا زيادة ولا نقصان.

فالإطناب اصطلاحاً: "التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظٍ كثيرة دون وجود حشوٍ أو فضولٍ في الكلام"[2].أي لو نُظر في القرآن كله لوُجد أنّ زيادة الألفاظ تتبعها زيادة في المعاني، فالإطناب في القرآن الكريم بلاغة تبرز قوة ألفاظه ومعانيه.

والفرق بين الإطناب والتطويل: أنّ الإطناب من البلاغة، والتطويل وهو زيادة الألفاظ دون زيادة المعاني، إنّما هو عيبٌ وعيّ يخِلّ بقوة الأسلوب وبلاغة الكلام؛ لأنّ في الإطناب يكون تفصيل المعنى بألفاظٍ عديدة في المواضع التي تحتاج إلى ذلك، ويحسن فيها ذكر التفصيل

فلكلٍ من الإيجاز والإطناب موضع يناسبه، وتكون الحاجة إليه أعظم وأشدّ، أمّا التطويل فيعتبر تكلّف يُستخدم فيه الكثير من الألفاظ في موضعٍ يكفي فيه القليل منها.

والفرق بين الإطناب والتطويل، أنّ الإطناب كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من الفوائد العظيمة، فيحمل في الطريق إلى هدفه وغرضه من الفائدة ما يحصل له بالهدف أو الغرض المطلوب، بينما التطويل كسالكٍ طريقاً بعيداً طويلاً جهلاً منه بالطريق القريب، فلا يناله سوى المشقة والتعب دون فائدة تُجنى من وراء ذلك[3].

من الآيات التي ورد فيها أسلوب الإطناب في سورة لقمان:

ورد هذا الأسلوب في عددٍ من آيات السورة، نذكر منها:

---

(1) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 162.

(2) المعجزة الكبرى، أبو زهرة، ص 229.

(3) يُنظر: النكت، الرماني، ص78-79.

1-قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان:4]

2-قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان:5].

والإطناب في الآية الرابعة من سورة لقمان كان بتكرار الضمير هم في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: 4]، وفي الآية الخامسة من سورة لقمان بتكرار اسم الإشارة أولئك في قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان:5][1].

والغرض من الإطناب في كلا الآيتين هو زيادة التكريم والثناء على أصحاب تلك الصفات، والتأكيد على أنّ هؤلاء المؤمنين الموقنين بالآخرة هم دون غيرهم المتمكّنون من الهدى الرّبّاني في الدنيا، ثم هؤلاء هم الفائزون المفلحون الناجون في الدنيا والآخرة.

إذاً يُلاحظ أن الغرض من الإطناب تأكيد قوة المعنى المراد من الآيات وزيادته، فلم يكن تكرار الكلمات حشواً زائداً، بل كل زيادة لفظٍ تبعتها زيادة معنى في التعبير.

المطلب الرابع: خطاب التهكُّم

هو فنٌّ من فنون البديع ونوعٌ من أنواع أسلوب الخطاب في القرآن الكريم، والذي تكرر وروده في سياق الحديث عن أهل الشرك والكافرين بغرض تحقيرهم وتوبيخهم ووعيدهم وبيان فساد مذاهبهم وعقائدهم، ويُقصد به **الاستهزاء بالمخاطب والسخرية منه**[2]، ويُعرّف كذلك بأنّه **"إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال"**[3].

وقد يأتي خطاب التهكم في القرآن الكريم بصورٍ متعددة، حيث استعمل القرآن كثيراً من الألفاظ في مجال التهكم، والتي يكون ظاهرها الجدّ وباطنها الهزل، فنرى مثلاً لفظ المدح في معرض الاستهزاء، والوعد يُراد به الوعيد، ولفظ البشارة في موضع الإنذار، وهكذا مما يدل على التهاون بالمخاطب والتحقير له[4].

---

(1) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 127.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2/ 231.

(3) المرجع السابق، ج4/ 58

(4) يُنظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، العدواني، ص568-570.

وعلى سبيل المثال، نجد لفظ **التذوق** في قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ [الدخان: 49]، ولفظ **الهدى** في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الحج: 4]، ولفظ **كيف** في قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران: 86].

وقد ورد استعمال هذا الأسلوب في آيات سورة لقمان، نذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [لقمان: 7].

تتحدث الآية هنا عن صنفٍ من الناس، وهم من يشتري لهو الحديث ويستكبر عن آيات الله، فيتولى ويُعرض فهذا فريق الأشقياء الضالين، ينذرهم الله ﷻ بالعذاب الأليم، ولكن يأتي الإنذار هنا بشكل مجازي من خلال استعمال لفظ البشارة، فالمعنى أنذرهم يا محمد بعذابٍ أليم، حيث جاءت البشارة على طريق التهكم والسخرية، فوضع بشر موضع أنذر تهكّماً(1)؛ لأنّ البشارة لا تكون إلا في الخبر السارّ، فهي الإخبار بأمرٍ سار لم يأتِ زمنه، واقترانها بالضد واستعمالها في الشرّ والعذاب يأتي على سبيل التهكم والسخرية والتقريع(2)، والتعبير عن الإنذار بلفظ بشرهم أبلغ من التعبير الحقيقي وهو أنذرهم، وأعظم وأشدّ إيلاماً للنفس(3) .

2- قوله تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [لقمان: 11].

يرى بعض المفسرين أنّ اللفظ **أروني** يمكن أن يكون على سبيل التهكم بالإضافة إلى التعجيز والتحدي، لأنّ الخطاب هنا للكافرين الجاحدين، حيث يتحداهم الله ﷻ بقوله: ﴿ **فَأَرُونِي** ﴾ وهم لا يمكنهم أن يكافحوا الله ﷻ، فالتهكم في الخطاب أسبق للقطع بأنهم لا يمكنهم مكافحة الله قبل أن يقطعوا بعجزهم(4).

---

(1) يُنظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج7/ 67، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 145.

(2) يُنظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11592، صفوة التفاسير، الصابوني، ج2/ 45.

(3) يُنظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج19/ 11592، الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج3/ 138.

(4) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 147.

إذن ترى الباحثة أنّ أسلوب التهكم من أهم الأساليب التي توقد الفكر، وتستثير المخاطب، حيث تخرجه من المعنى الحقيقيّ إلى الوصول للمعنى المراد من الخطاب، وهذا يعطي المتكلم قوة للتأثير على نفسيّة المخاطب بأسلوبٍ بليغٍ.

المطلب الخامس: أسلوب الالتفات

إنّ من عناية العرب بأسلوب الكلام أنّهم يعمدون إلى التجديد، وعدم التكرار ودفع الملل عن المستمع، وتحاشي السير على أسلوب واحد في الخطاب لعدة مقاصد من وراء ذلك.

وهذا الانتقال من أسلوبٍ إلى آخر يُسمّى عند أهل البلاغة بالالتفات، وهو كذلك من أساليب القرآن الكريم والتي نجدها خلال النظر في آيات القرآن الكريم.

وقد عرّف العلماء هذا الأسلوب بتعريفات متقاربة، نذكر منها ما أورده الإمام الزركشي في البرهان، "**الالتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية واستدراراً للسامع وتجديدا لنشاطه، وصيانةً لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه**" [(1)]، وعرفه الإمام السيوطي بأنه: "**نقل الكلام من أسلوبٍ إلى آخر، أي من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول**"[(2)]، ويُفهم من خلال التعريفات، أنّ لهذا الأسلوب فائدة عامة وهي تطرية الكلام مع دفع الملل والضجر الذي قد يلحق بالسامع أو المخاطب بسبب الاستمرار على أسلوبٍ أو منوالٍ واحد في الكلام.

ولأسلوب الالتفات أقسام كثيرة منها:" الالتفات من التكلم إلى الخطاب، الالتفات من التكلم إلى الغيبة، الالتفات من الخطاب إلى التكلم، الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، الالتفات من الغيبة إلى التكلم، الالتفات من الغيبة إلى الخطاب "[(3)].

---

(1) البرهان، الزركشي، ج3/ 314.

(2) السيوطي، الإتقان، ج3/ 289.

(3) البرهان، الزركشي، ج3/ ص314.

ومما يقرب من الالتفات أيضاً، الانتقال من خطاب الواحد والإثنين والجمع إلى خطابٍ آخر، وله أقسام، وهناك أقسام أخرى متعلقة بعنصر الزمن كالالتفات من الفعل الماضي إلى المضارع، ومن المضارع إلى الأمر، ومن الأمر إلى المضارع(1) .

ولكلٍّ من هذه الأقسام والأنواع في أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، فائدة ولطيفة تحدث عنها العلماء والمفسرون، ستوضح الباحثة بعضها عند توضيح أسلوب الالتفات الوارد في آيات سورة لقمان، وأختم هذا المختصر بأنه يُشترط في الالتفات أن يكون الملتفت عنه والملتفت إليه واحد.

وقد ورد أسلوب الالتفات في عدد من آيات سورة لقمان، نذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [لقمان: 10]

في هذه الآية الكريمة نرى الالتفات من الغيبة المفرد في قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ**﴾، ﴿**أَلْقَى**﴾، ﴿**بَثَّ**﴾، وكلها جاءت بضمير الغائب، إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلْنَا**﴾، ﴿**فَأَنْبَتْنَا**﴾ والتي جاءت بنون العظمة، تعظيماً لشأن الخالق ﷻ ولإبراز العناية والاهتمام بهذين الفعلين، وكذلك تنبيه السامع إلى قدرة الله ﷻ الذي لا يدخل تحت قدرة أحد (2).

2- قوله تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [لقمان: 11].

والانتقال هنا من التكلم ﴿ **وَأَنْزَلْنَا۝ فَأَنْبَتْنَا**﴾ [لقمان: 10] في الآية السابقة، إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿**هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ** ﴾ هو التفات، الغرض منه زيادة التصريح بأنّ الخطاب وارد من جانب الله تعالى، بدليل وقرينة قوله تعالى ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ**﴾ [لقمان:11]، كذلك الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله

(1) يُنظر: البرهان، الزركشي، ج3/ 334.

(2) يُنظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج7/ 70، التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 137.

تعالى: ﴿ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان:11] هو التفات لمراعاة العوْد إلى الغيْبة في قوله ﴿خَلْقُ اللَّهِ﴾[1].

3- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32) ﴾ [لقمان: 31-32]

وفي الانتقال هنا من الخطاب: ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ...﴾ في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[لقمان: 31] ، إلى التكلم : ﴿بِآيَاتِنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: 32] التفات[2]، وكذلك الانتقال من ضمير الخطاب في ﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ إلى ضمير الغيبة في ﴿غَشِيَهُمْ﴾ التفات.

إذن لا شك أن أسلوب الالتفات فن بديع من فنون نظم وترتيب الكلام البليغ عند أهل العربية، تحصل به المتعة الذهنية والنشاط عند السامع أو المخاطب.

المطلب السادس: أسلوب الشرط

إنّ أسلوب الشرط من الأساليب الإنشائية في اللغة العربية، والتي استعملها القرآن الكريم بشكل واسع، والحديث عن أسلوب الشرط يطول، لكن ستقتصر الباحثة على التعريف بهذا الأسلوب بشكل مختصر، ومن ثم نورد بعض الأمثلة من السورة والتي ورد فيها استعمال أسلوب الشرط.

أولاً: تعريف أسلوب الشرط: قد يجد القارئ أو الباحث عددا من التعريفات لأسلوب الشرط تدور كلها حول نفس المعنى، نذكر منها:

---

(1) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 147.

(2) يُنظر: المرجع السابق، ج21/ 192.

"هو اقتران أمرٍ بآخر بحيث لا يتحقق الثاني إلا بتحقّق الأول، وذلك بوجود أداة شرط"[1].

أو هو" أسلوب(جملة شرطية) يدل على تلازم جملتين وارتباطهما بواسطة أداة تسمى أداة الشرط، بحيث لا يمكن أن تتحقق جملة جواب الشرط إلا بتحقق جملة فعل الشرط"[2].

أي أنّ وقوع جملة الجواب وتحققها مشروط في الغالب بوقوع جملة الشرط، فإذا تحقق الشرط تحقق الجواب.

ثانياً: أركان أسلوب الشرط: لأسلوب الشرط ثلاثة أركان (أداة الشرط، جملة فعل الشرط، جملة جواب الشرط).

ثالثاً: أدوات الشرط: أدوات الشرط قد تكون حرفا وقد تكون اسما، وتنقسم أدوات الشرط إلى قسمين(أدوات الشرط الجازمة، وأدوات الشرط غير الجازمة)، ومن أدوات الشرط الجازمة (إنْ، منْ، ما، أين، متى، أينما، أنّى، حيثما، أيّان، كيفما، أيْ)، أما أدوات الشرط غير الجازمة (كلما، لمّا، لوما، لولا، لو، إذا)، ولكل أداةٍ من هذه الأدوات دلالة تفيدها.

وقد ورد أسلوب الشرط في عددٍ من آيات سورة لقمان نذكر منها:

1- قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [لقمان: 7].

في هذه الآية الكريمة نجد استعمال أسلوب الشرط بأركانه التي سبق ذكرها، فالواو هنا عاطفة، (إذا) ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة(تُتلى) في محل جر بإضافة الظرف إليها، و(تتلى) فعل مضارع مبني للمجهول، (عليه) متعلقان بتتلى، (آياتنا) نائب فاعل، وجملة (ولّى) لا محل لها لأنّها جواب شرط غير جازم.

2- قال تعالى: ﴿ **إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان: 15]

(1) أسلوب الشرط في اللغة العربية، موقع أنا البحر. (موقع إلكتروني).

(2) أسلوب الشرط، ويكيبيديا (موقع إلكتروني).

الواو عاطفة، (إنْ) شرطية، (جاهداك) فعل ماضي وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، (فلا) الفاء رابطة، ولا ناهية، (تطعهما) فعل مضارع مجزوم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والهاء مفعول به، وجملة(فلا تطعهما) في محل جزم جواب الشرط.

3- قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: 22].

الواو عاطفة، و(منْ) اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، (يسلم) فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره هو، (فقد) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق، و(استمسك) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو، (بالعروة) جار ومجرور متعلقان ب استمسك، الوثقى صفة للعروة، وجملة (استمسك) في محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء، وفعل الشرط وجوابه خبر من.

4- قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [لقمان: 23].

الواو عاطفة، و(منْ) اسم شرط جازم، (كفر) مبني في محل جزم فعل الشرط،(فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط، لا ناهية، (يحزنك) فعل مضارع مجزوم بلا، وجملة(لا يحزنك كفره) في محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء.

وأختم القول بأن تنوع أدوات الشرط خلال سياق الآيات يعطي لكل آية دلالة مختلفة تناسب المعنى الذي تضمنته هذه الآية فمثلا نجد أمّا تفيد التفصيل، كلما تفيد التكرار، لو يفيد الامتناع ، وهكذا مما يبرز عظمة لغة القرآن الكريم.

المطلب السابع: أسلوب النداء

إنّ أسلوب النداء من أهم أساليب الخطاب، حيث يُعتبر الخطاب بحرف النداء واسم المنادى إشارة إلى التنبيه على المقصود بشكل أبلغ وأخص، ودليل على الاعتناء بالمخاطب المنادى وتخصيصه بالخطاب أو بما يريد قوله[1].

أولاً: تعريف أسلوب النداء:

وردت عدة تعريفات لأسلوب النداء، منها:

(1) يُنظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، الكناني، ج1/ 149.

1-" **هو طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرفٍ مخصوص**"[1].

2-" **هو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم**"[2].

إذن نلاحظ من التعريفات أنّ النداء إنما يكون لطلب إقبال المدعوّ ليصغي إلى أمرٍ مهم، لذلك نجد في القرآن الكريم أنه غالباً ما يلي النداء أمرٌ أو نهي، كقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: 1-2]، وقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة: 87]، وهذه الأوامر والنواهي لها الدور الأساس في فهم هذا الدين، مما يترتب عليه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وفي مواضع كثيرة يُحذف لفظ النداء في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الحجر: 57]، أمّا مع الرب ﷻ فلا يكاد يُستخدم حرف النداء، مما يشير إلى شعور الداعي بقربه من ربه ﷻ مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[البقرة: 285]، ولم يناد لفظ الجلالة في القرآن، بل استُعمل بدلا عنه لفظ (اللهم)، كما قال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:26][3].

ملاحظة: قد يُستعمل النداء في غير معناه مجازاً، في مواضع، مثل:"

1- الإغراء والتحذير، كما في قوله تعالى: ﴿ **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ [الشمس: 13]، والإغراء أمر معناه الترغيب والتحريض.

2- الاختصاص، وهو كالنداء إلا أنه لا حرف له.

3- التنبيه، نحو قوله تعالى: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا**﴾ [مريم: 23]، لأن حرف النداء يختص بالأسماء"[4].

---

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2/ 323.

(2) النحو الوافي، حسن، ج4/ 1.

(3) يُنظر: من بلاغة القرآن، بدوي، ص130.

(4) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2/ 325.

ثانياً: أحرف النداء:

أشهر حروف النداء ثمانية وهي: (الهمزة (أ)، (أيْ) لنداء القريب مثل/ أخالد، أيْ أخي، يا، آ، آي، أيا، هيا لنداء البعيد، وا للندبة خاصة مثل/ وا ولدي.

وقد ورد النداء في عددٍ من آيات سورة لقمان، نذكر منها:

1- قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان:13].

في هذه الآية الكريمة يفتتح لقمان موعظته بنداء المخاطب الموعوظ وهو ولده، رغم أن توجيه الخطاب له يغني عن النداء، إلا أنه استعمل النداء مجازا طلبا لحضور ذهنه ليعي الكلام، واهتماما بالغرض المسوق له الكلام[1].

والواو الأولى هنا استئنافية، و(إذ) اسم ظرفي مفعول به لفعل مقدر تقديره اذكر، (لابنه) متعلقان بقال، واو الثانية حاليّة، (بنيّ) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم، الياء الثانية مضافة إليه، (لا) ناهية جازمة، (تشرك) فعل مضارع مجزوم، (بالله) متعلقان ب تشرك، جملة(لا تشرك) لا محل لها جواب النداء، وجملة النداء وجوابه في محل نصب مقول القول[2].

2- قال تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان: 16].

(يا بنيّ) تقدم إعرابها في الآية السابقة، جملة (يابني) لا محل لها استئناف في حيز قول لقمان، جملة (إنها إنْ تك) لا محل لها جواب النداء[3]، ونداء لقمان لولده استحضارا لذهنه لأهمية الموعظة التي يريد توجيهها له.

2- قال تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان: 17].

---

(1) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 154.

(2) يُنظر: الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج21/ 77.

(3) يُنظر: المرجع السابق، ج21/ 84.

(يا بنيّ) أيضا تقدم إعرابها، وجملة (يا بني) لا محل لها، استئناف في حيز القول، وجملة (أقم) لا محل لها جواب النداء[1]، والنداء دل على أهمية الكلام الموجه له.

4- قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ [لقمان: 33].

(أيّها) منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، (النّاس) بدل من أيّ- أو عطف بيان- مرفوع لفظاً، جملة النداء لا محل لها استئنافية، وجملة (اتقوا) لا محل لها جواب النداء، جملة (اخشوا) لا محل لها معطوفة على جملة جواب النداء[2].

المطلب الثامن: أسلوب الأمر والنهي

الحديث في هذا المطلب سيكون عن أسلوبٍ يُعتبر هو الأصل لفهم الدين، وهو الطريق الآمن لمنْ أراد الوصول للحياة الطيبة، وللسعادة في الدنيا والآخرة، ألا وهو الأمر والنهي.

ويُعدّ أسلوب الأمر والنهي من أعظم أساليب التربية أهمية في القرآن الكريم، فالأمر دافع للعبد إلى السعي والعمل، والنهي حافظٌ له من كل سوءٍ أو شرٍ قد يعترضه أو يعكر صفو طريقه وسعيه.

وستتحدث الباحثة في هذا المطلب عن مفهوميْ الأمر والنهي، وأهم المعاني البلاغيّة لكلٍ منهما، ومن ثمّ أهم الآيات التي استعملت الأمر والنهي في سورة لقمان.

أولاً: تعريف كل من الأمر والنهي:

***الأمر: " هو قول القائل لمنْ دونه افعل"** [3]، أي على وجه الاستعلاء، أما **النهي: ضد الأمر "وهو قول القائل لمن دونه لا تفعل"** [4].

---

(1) يُنظر: الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج21/ 84.

(2) يُنظر: المرجع السابق، ج21/ 99.

(3) التعريفات، الجرجاني، ص53.

(4) المرجع السابق، ص316.

ثانياً: الأغراض البلاغية لكل من الأمر والنهي:

1- الأمر: الأصل في الأمر أنْ يكون طلب الفعل من الآمر للمخاطب على سبيل الإيجاب[1].

مثل قوله ﷻ: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: 1]، وقوله ﷻ: ﴿ **قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: 2].

ولكن قد يأتي الأمر لغير الإيجاب في مواضع كثيرة، فمن أغراضه البلاغية:

أ- **الدعاء**، مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** ﴾ [طه:25]، وقوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: 6].

ب- **التعجيز**، مثل قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس:38]، ومثل قوله تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [لقمان:11].

ج- **التهديد**، مثل قوله تعالى: ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت:40].

د- **الإهانة**، مثل قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ [الدخان: 49].

وقد يأتي أيضا لأغراض أخرى تفهم من السياق القرآني، مثل النصح والإرشاد، التمني، الالتماس، التحسر والندم، وغير ذلك.

2- النهي: والأصل في النهي أنْ يكون للمنع والكف على سبيل التحريم[2].

مثل قوله تعالى: ﴿ **لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا**﴾ [الإسراء: 22]،

ولكن قد يأتي لأغراض بلاغية أخرى، منها:

أ- **الدعاء**، مثل قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران:8]، وقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة:286].

ب- **اليأس أو التيئيس**، مثل قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [التحريم:7].

---

(1) ينظر: من بلاغة القرآن، بدوي، ص 129.

(2) يُنظر: المرجع السابق، ص129.

ج- الإهانة، مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: 108].

وغير ذلك من الأغراض البلاغية للنهي، تُفهم أيضا من السياق، مثل التمني، التحسر، النصح ، وغيرها.

وفي سورة لقمان نجد لقمان الحكيم يوصي ابنه وصايا رائعة راقية تجعل منه أسوةً ومثالاً يُحتذى به، وقد اعتمد لقمان على الأمر والنهي خلال توجيهه لولده، لذلك نورد بعض الآيات التي استعملت أسلوب الأمر والنهي في سورة لقمان:

1- قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13].ة

ففي هذه الآية، (يا بني) الجملة مقول القول، (لا) ناهية، (تشرك) فعل مضارع مجزوم بلا، (بالله) متعلقان بتشرك، وجملة(إن الشرك) تعليل للنهي لا محل لها[1]، وقال جمهور المفسرين إن ابن لقمان كان مشركاً، فلم يزل يعظه حتى آمن بالله وحده، وأصل النهي عن الشيء أن يكون وقت التلبس بالشيء المنهيّ عنه، أو عند الاقتراب من التلبس به[2].

ومما لا شك فيه هنا أن النهي يفيد التحريم، فمن دلالات الآية تحريم الشرك بالله تعالى.

2- قال تعالى: ﴿ **وإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان:15]، الواو هنا عاطفة، (إنْ) شرطية، (جاهداك) ماض وفاعله ومفعوله وهو في محل جزم فعل الشرط، (فلا تطعهما) الفاء رابطة، تطعهما المضارع مجزوم بلا الناهية، والهاء مفعول به، (ما) للتثنية، والجملة في محل جزم جواب الشرط، (وصاحبهما)الواو للعطف، صاحبهما فعل أمر ومفعول وفاعل مستتر تقديره أنت[3].

إذن من خلال الآية الكريمة نستنتج وجوب بر الوالدين، وعدم طاعتهما في غير المعروف، ووجوب اتباع سبيل المؤمنين[4]، حيث الأمر هنا يفيد الوجوب.

---

(1) يُنظر: إعراب القرآن، درويش، ج7/ 533.

(2) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 154.

(3) يُنظر: إعراب القرآن، الدعاس، ج3/ 28.

(4) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير، ج4/ 206.

3-قال تعالى: ﴿ يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:17]، نجد في هذه الآية الكريمة أن لقمان استعمل الأمر بشكل متكرر، ف(أقم) فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت، و(أْمر)، و(اْنه)، و(اصبر)، أفعال أمرٍ معطوفة على ما قبلها والفاعل مستتر تقديره أنت(1).

(إن ذلك من عزم الأمور) أي إن إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذات الله وسبيله، من الأمور الواجبة المقطوعة قطع إيجاب وإلزام، فهي عزائم وليست رخص(2)، إذن الحكم الشرعي لكل هذه الأوامر الواردة في الآية هو الوجوب.

4- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]، الواو هنا للعطف، (لا) ناهية، (تصعر) مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت، (ولا تمش) معطوف على ولا تصعر .

والنهي هنا يفيد التحريم، فقد دلت الآية الكريمة هنا على تحريم التكبر والاختيال في المشي(3).

5- قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]، الواو للعطف، (اقصد) أمر ، و(اغضض) معطوف على ما سبق.

والأمر هنا يفيد الندب، حيث يندب للإنسان القصد أي التوسط والاعتدال في المشي، كما يندب إليه عدم التكلف في الصوت(4).

وأختم القول بأن الأمر أيضا له صيغ متعددة تتنوع حسب السياق كما تتنوع أغراضه البلاغية مثل اسم الفعل أو المضارع المقرون بلام الأمر وغيرها، لكن النهي رغم تنوع أغراضه البلاغية إلا أن له صيغة واحدة وهي المضارع المسبوق بلا الناهية.

---

(1) يُنظر: إعراب القرآن، الدعاس، ج3/ 28.

(2) يُنظر: المنير، الزحيلي، ج21/ 150، أيسر التفاسير، الجزائري، ج4/ 208.

(3) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 155.

(4) يُنظر: الزحيلي، المنير، ج21/ 150.

المطلب التاسع: أسلوب الحذف

إن الحذف من أساليب العرب المعهودة والمعروفة، يعمدون إليه للإفادة في تقوية الكلام والأسلوب وتحقيق أغراض بلاغية، وكما هو معلوم أن القرآن الكريم جاء وفق لهجات العرب وأسلوبهم، لذا نجد أنه اعتمد الحذف ضمن أساليبه، وبالتالي اهتم العلماء به، وببيان ما يتعلق به من أسرار وجمال، ويكفينا قول الإمام الجرجاني في دلائل الإعجاز، يصف هذا الأسلوب وأهميته بقوله: " هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد بالإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكوم بياناً إذا لم تبن"[1].

وبشكل موجز، ستهتم الباحثة في هذا المطلب ببيان تعريف الحذف وفوائده، وأهم أسبابه، وشروطه وخصائصه، ثم تتبع ذلك بذكر ما ورد في سورة لقمان من آيات استعملت أسلوب الحذف.

أولا: تعريف الحذف

الحذف: " هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام"[2].

ثانياً: فوائده

ويؤكد العلماء أن الحذف في السياق لا يمكن أن يكون عبثا، خاصةً في القرآن الكريم، وإنما له أغراض وفوائد، فمثلاً قد يكون الحذف للإيجاز والاختصار، أو يكون بقصد التعظيم أو التفخيم أحياناً، أو زيادة المتعة في استنباط المعنى المحذوف، أو غير ذلك، ومما يدلل على ذلك ويؤكده قول الإمام الجرجاني أيضاً في دلائل الإعجاز" فما من اسمٍ أو فعلٍ تجده قد حُذِف ثم أصيب به موضعه، وحُذف في الحال ينبغي أن يُحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به"[3].

ثالثاً: أسبابه

وقد تجد للحذف أسباباً تدفع إليه، منها:

1-الاختصار.

---

(1) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص121.

(2) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص76.

(3) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص126.

2- التفخيم، مثل قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾[الزمر:73]، حُذف جواب الشرط.

3- التنبيه إلى الاشتغال بالمهم لأن الزمن لا يكفي للإتيان بالمحذوف، مثل قوله تعالى: ﴿ **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ [الشمس: 13]، حذف الفعل، حيث التقدير(احذروا ناقة الله وسقياها فلا تقربوها).

4- شهرة المحذوف، فذكره وعدمه سواء، مثل قوله تعالى: ﴿ **مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا**﴾[النحل:30].

5- التخفيف لكثرة وروده في كلام العرب، مثل حذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ [يوسف:29].

6- رعاية خواتم الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ [الضحى: 3][(1)].

رابعاً: شروطه

وأهم شرط أجمع عليه العلماء، أنّ الحذف لا يمكن أن يكون إلا إذا بقيت في الكلام قرينة تدل على المحذوف، لأن شرط قوة الأسلوب وجودته وضوح المعنى وحسن الدلالة، وبغياب القرينة أو ما يدل على المحذوف سيغلب الغموض على اللفظ والمعنى[(2)].

خامساً: خصائص الحذف القرآني

1- سلامته من الإخلال بالأسلوب أو المعنى، فكل حذفٍ في القرآن محكوم بأمرين:

أ- دليل أو قرينة تعين على فهمه، أو تعيّنه أحياناً، ب- الداعي البلاغي أو السبب الذي دعا إلى الحذف.

2- أن كل موضع في القرآن فيه حذف، فالحذف فيه أبلغ من الذكر[(3)].

وقد ورد أسلوب الحذف في آيات سورة لقمان، وذلك في الآية التالية:

---

(1) يُنظر: أسلوب الحذف في القرآن، إسلام ويب (موقع إلكتروني).

(2) يُنظر: خصائص التعبير القرآني، مصطفى، ج2/ 5.

(3) يُنظر: المرجع السابق، ج2/ 75.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32].

في هذه الآية نجد الحذف في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ فهنا إيجاز بالحذف لأن المعنى المراد (فمنهم مقتصد ومنهم كافر) وقد دلّ على المحذوف قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32] بعدها، ليكون المعنى أنه لا ينكر دلائل وجود وتوحيد الله إلا كل غدّارٍ، غارق بالكفر، جاحد لنعم الله(1).

المطلب العاشر: أسلوب الإضراب

إنّ من الأساليب التي وردت في سورة لقمان خاصة وفي القرآن الكريم عامة، أسلوب يُعرف بأسلوب الإضراب، يمكن التعرف على بعض الأمثلة عليه من خلال هذا المطلب.

تعريف الإضراب: الإضراب عند أهل النحو هو" الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه، وقد يكون الإضراب بمعنى الانتقال من غرضٍ إلى آخر"(2).

ويعتبر (بل) أشهر حرف للإضراب إذا تلاها جملة، فتكون بمعنى ترك الأول وإبطاله والرجوع عنه، وتُسمى حرف ابتداء، مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:26].

وقد ورد أسلوب الاضراب في سورة لقمان في الآيات التالية:

1-قال تعالى: ﴿هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:11].

ففي هذه الآية أضرب عن توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر، إلى الإقرار بضلالهم البيّن، الذي يستدعي ويستلزم الإعراض عن مخاطبتهم بالحق المعقول، لأنه يستحيل أن يفهموا منه شيء فيهتدوا به إلى العلم بالباطل الذي هم عليه، أو يتأثروا بهذا التبكيت فينزجروا(3).

---

(1) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 173

(2) تعريف الإضراب في النحو، موقع ويكيبيديا (موقع إلكتروني).

(3) يُنظر: روح المعاني، الألوسي، ج11/ 81.

2-قال تعالى: ﴿ **وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ**﴾ [لقمان:21].

وقد استخدمت (بل) هنا أيضا للإضراب الانتقالي.

المطلب الحادي عشر: أسلوب الاستفهام

يُعتبر أسلوب الاستفهام من أشهر أساليب القرآن الكريم وأكثرها استعمالاً في الآيات القرآنية.

وقد ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه، والذي يوضحه التعريف التالي:

أولاً: تعريف الاستفهام:

" هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته"[(1)]، **وأدواته هي: (**الهمزة، هل، ما، متى، أيّان، كيف، أين، أنّى، كم، أيْ **)**

مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: 23].

ثانياً: أهم الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام:

ورغم أن الاستفهام ورد في القرآن الكريم على أصل معناه إلا أنه يكثر خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي، إلى معانٍ وأغراض بلاغية أخرى تُفهم من سياق الكلام ودلالته، نذكر أهمها [(2)]:

1- **الإنكار**: ويأخذ الاستفهام هنا معنى النفي وما بعده منفي، مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى**﴾ [النجم: 21].

2- **التوبيخ**: على فعل شيءٍ كان الأوْلى ألا يُفعل، أو على ترك شيء كان الأولى ألا يُترك، مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ [النساء: 97].

3- **التهديد والوعيد**: مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ**﴾ [الفجر: 6].

4- **التعجب**: مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: 7].

---

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان، الهاشمي، ج1/ 78.

(2) يُنظر: من بلاغة القرآن، البدوي، ص126.

5- **التهويل**: مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ [الحاقة: 3].

6- الاستهزاء: مثل قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ [هود:87].

7- **التشويق والترغيب**: مثل قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الصف:10].

8- **الأمر**: مثل قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُونَ**﴾ [المائدة: 91].

9- **النهي**: مثل قوله تعالى: ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة:13].

10- **التقرير**: مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح:1].

وغير ذلك من المعاني مثل التهكم والتسوية والتحسر والاستبعاد والتمني وغيرها والتي جاءت بأسلوب الاستفهام تشويقاً وإثارةَ للتفكير وتنبيهاً لمعرفة الحق والبعد عن الضلال.

وقد ورد أسلوب الاستفهام في آيات سورة لقمان، نذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [لقمان:11].

يخاطب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المشركين المنكرين من أهل مكة وغيرهم، طالبا منهم أن يثبتوا القدرة لما يعبدون من دون الله ﴿**فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾ ؟

فالاستفهام في هذه الآية الانكار مع التوبيخ والتبكيت لهؤلاء المشركين الضالين [(1)].

2- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [لقمان: 21].

الاستفهام هنا ﴿**أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ ؟ أيضا للإنكار، ويُفهم التعجب من السياق، وقد يكون العكس الاستفهام للتعجب ويفهم الانكار من السياق[(2)].

---

(1) يُنظر: تفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 137.

(2) يُنظر: روح المعاني، الألوسي، ج11/ 93.

والمعنى أيتبعونهم بلا دليل؟ ولو كان اعتقادهم قائماً على الهوى وتزيين الشيطان الذي يدعوهم إلى عذاب السعير؟ والله يدعوهم إلى الثواب والجنة والسعادة.

إذن يفهم من السياق أن الاستفهام جاء متضمنا بالإضافة إلى الإنكار والتعجب، سخريةً وتهكماً بهم وبسفاهة عقولهم(1).

3- قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:25].

ما زالت الآية هنا تتحدث عن المشركين، أي ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ لكانت إجابتهم هو الله الخالق، إذن هم معترفون غير منكرين وذلك لوضوح الدليل على وجود الله ﷻ .

إذن الغرض من الاستفهام هنا هو دفعهم إلى الإقرار وإعلان الاعتراف بوجود الخالق.

المطلب الثاني عشر: أسلوب التوكيد

إنّ القرآن الكريم دستور العقيدة الربانيّة، ولترسيخ هذه العقيدة في نفوس وقلوب قارئيه وأتباعه استخدم القرآن الكريم كل الوسائل والأساليب المؤدية لذلك، وكان من أهمها أسلوب التوكيد، لتقرير كل المعاني التي يريدها المولى ﷻ.

أولاً: تعريف التوكيد(التأكيد):

"القصد منه الحمل على مل لم يقع ليصير واقعاً"(2)، أو كما عرفه أهل اللغة:" هو تابع يذكر لتقرير متبوعه لرفع احتمال السهو أو غيره"(3).

ثانياً: أهم الأغراض التي من أجلها استخدم القرآن أسلوب التوكيد(4):

1- تأكيد صفات اللهﷻ : وتأكيد وتقرير صفات المولى ﷻ في النفوس له علاقة وثيقة باستمرار الإيمان في القلوب، وإذا صلح الإيمان صلح العمل، لذا نجد في القرآن كثيراً من الآيات التي تؤكد كثيراً من صفات اللهﷻ كالقدرة والعلم المطلق والوحدانيّة، وغيرها.

---

(1) يُنظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج21/ 160.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2/ 385).

(3) محمد السراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، ص117.

(4) يُنظر: أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، ص112.

مثل قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45].

2- تقرير أنّ الكتاب الذي جاء به محمدﷺ هو منزل من عند الله، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

3- تأكيد مسألة الوعد والوعيد، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:32].

4- تأكيد كل خبر هو مجال للشك والإنكار، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:11].

5- تأكيد أن كتاب الله كتاب هداية ونور، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:9].

6- الترغيب، مثل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54].، وغير ذلك من المعاني الأخرى.

ثالثاً: أهم صور وأساليب التوكيد:

إن للتوكيد صور وأساليب متعددة، أهمها التوكيد باستخدام أداة من أدوات التوكيد، أو وسيلة من وسائله، ومن ذلك (إنّ، أنّ، إنّما، لام القسم، لام الابتداء، هاء التنبيه، ألا الاستفتاحية، قد، سوف، السين، ضمير الشأن، ضمير الفصل، نونا التوكيد الثقيلة والمخففة، دخول الأحرف الزائدة.

كل ما سبق من الأدوات والأساليب تؤدي إلى معنى التأكيد، ومن خلالها ظهر معنى من معاني الإعجاز القرآني.

وقد ورد أسلوب التوكيد في عدد من آيات سورة لقمان، نذكر منها:

1-قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: 4].

تتحدث الآية هنا عن صفات المحسنين، فـ(الذين) نعت للمحسنين، وجملة (هم يوقنون) معطوف على جملة الصلة، و(هم) الثانية تأكيد للأولى[1]، حيث صيغ الخبر عن صفة

---

(1) يُنظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، الخراط، ج3/ 944.

الإيمان بالآخرة واليقين بصيغة الجملة الإسمية، وقرن بضمير الفصل(هم) مما يدل على ثبات وتأكيد ما تضمنته الجملة من معاني، وانحصارها فقط في هؤلاء.

2- قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: 5].

وتستكمل الآيات الحديث عن مصير أولئك المحسنين، فتوضح أنهم هم من نالوا الهداية في الدنيا، وهم أنفسهم لا غيرهم قد نالوا الفلاح في الدنيا والآخرة، وقد جاء ضمير الفصل(هم) لتوكيد صفة الفلاح لهؤلاء المحسنين.

3- قوله تعالى: ﴿ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

وتأتي نصيحة لقمان لولده ناهياً له عن الشرك بالله، ومعللاً له ذلك النهي والتحذير بقوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ف(إنّ) حرف توكيد وتحقيق والتوكيد بها أقوى من التوكيد باللام، وفيها معنى التعليل[1]، ثم أكد المعنى المراد أيضاً بلام التوكيد المزحلقة في قوله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

4- قوله تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19].

وضمن وصايا لقمان الحكيم لولده، القصد في المشي ثم غض الصوت، يأتي التأكيد الذي يحمل معنى التعليل أيضاً في قوله ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، ف(إنّ) حرف نصب وتوكيد، و(أنكر) اسمها منصوب،(الأصوات) مضاف إليه، ويلحقه التوكيد باللام المزحلقة في قوله ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، و(صوتُ) خبر إن مرفوع ، (الحمير) مضاف إليه مجرور[2].

المطلب الثالث عشر: مناسبة فاصلة الآية مع موضوعها

أولاً: تعريف الفاصلة:" الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس الآية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، وسُميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها"[3]، أو "هي كلمة

---

(1) يُنظر: الأصلان في علوم القرآن، البقيعي، ص264.

(2) يُنظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، الصالح، ج9/ 155.

(3) مباحث في علوم القرآن، القطان، ص153.

آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع"[1]، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها.

ثانياً: أنواع الفواصل في القرآن الكريم[2]

أ- الفواصل المتماثلة: مثل ﴿**وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**(2) ﴾ [الطور: 1-2].

ب- المتقاربة: مثل ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)**﴾ [الفاتحة: 3-4].

ج- المتوازي: حيث تتفق فيها الكلمات في الوزن وحروف السجع، مثل ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14)**﴾ [الغاشية: 13-14].

ت- المتوازن: يراعي في مقاطع الكلام الوزن فقط، مثل ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)**﴾ [الغاشية: 16].

رابعاً: علاقة الفاصلة بما قبلها من النص القرآني[3]

تنحصر هذه العلاقة في أربعة أنواع:

1- التمكين: وذلك بأن يمهد النص قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة بعده ممكنة مستقرة في مكانها، ومتعلقة بمعنى الكلام تعلقاً تاماً.

2- التصدير: أن تتقدم أثناء الآية لفظة من نفس مادة الفاصلة.

3- التوشيح: وسمي بذلك لكون نفس الكلام يدل على آخره، حيث يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة.

4- الإيغال: أن تأتي الآية بمعنى تام، ثم تأتي الفاصلة بمعنى زائد، وسُمي بذلك لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذٌ فيه، وبلغ إلى زيادة الحد.

من الآيات الواردة في سورة لقمان:

1- قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [لقمان:6].

---

(1) الزركشي، البرهان، ج1/ 53.

(2) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، القطان، ص154-155.

(3) يُنظر: الزركشي، البرهان، ج1/ 78.

في هذه الآية الكريمة نلاحظ أن العلاقة بين النص والفاصلة هي الإيغال، حيث نلاحظ أن النص القرآني هنا قد تضمن معنى تام، فالحديث هنا عن فريق الضالين الأشقياء الذي يشتري لهو الحديث ويستهزئ بآيات الله وبأهل الحق، ثم تأتي الفاصلة لتثري معنى الآية، فتبين أن أولئك الضالين ليس لهم إلا العذاب الأليم.

2- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:7].

وما زال الحديث في هذه الآية عن نفس الفريق فتبين الآية صفة هؤلاء الضالين، الذين يتكبرون على آيات الله فلا يسمعونها، ونلاحظ أن المعنى هنا قد تم واكتمل، وأتت الفاصلة لتضيف معنى آخر ألا وهو البشرى لهؤلاء بالعذاب الأليم، إذن العلاقة بين الفاصلة والنص هي الإيغال.

3- قوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

وضمن وصايا لقمان الحكيم لولده، تأتي وصيته له بكل حرص لتبين له مدى سعة علم الله تعالى وشموله، من خلال الصورة الجميلة التي ساقها النص القرآني ورسخت هذا المعنى، ومهدت لتلك الفاصلة في نهاية الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، إذن نلاحظ أن العلاقة بين النص والفاصلة هنا هي التمكين.

4- قوله تعالى: ﴿ يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

في هذه الآية الكريمة هنا يلاحظ أنه قد ورد معنى يشير إلى الفاصلة، فالآية تتحدث عن النهي عن التكبر والغرور، ثم ختمت ببيان أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، فعلاقة الفاصلة بالنص القرآني هنا هي التوشيح.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبنعمته تتم الصالحات، وعلى المبعوث رحمة للعالمين أزكى السلام وأتم الصلوات، وبعد:

في ختام دراستي وبحثي، وبعد تحقيق الأهداف التي وضعتها الباحثة في مقدمة الرسالة، فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولاً: النتائج:

1- التأكيد على أن كتاب الله تعالى كتاب هداية وإصلاح، فيه فلاح البشر في الدارين.

2- كل سورةٍ من سور القرآن الكريم تمثل منظومة متكاملة من التوجيهات التربوية المتنوعة في مجالات شتى.

3- رأس الحكمة مخافة الله تعالى، ووصايا لقمان الحكيم لابنه خير دليل على ذلك.

4- مهما ارتقت أساليب البشر، يظل القرآن الكريم متفرداً ومتميزاً ومعجزاً بأساليبه.

5- الدراسة المتعمقة للآيات وسبر أغوارها واستلهام الهدايات والحقائق والعظات وربطها بالواقع، هو واجب على علماء المسلمين لتربية الجيل المسلم تربية سليمة.

6- وجوب الثبات على عقيدة التوحيد، وإقرارها وهدم الشرك والوثنية.

7- أهمية التفكر في خلق السموات والأرض للوصول إلى اليقين التام بوجود الله ووحدانيته .

8- تحريم التقليد الأعمى والمجادلة بغير علم.

9- وجوب تقوى الله سبحانه وتعالى.

10- شكر الله على نعمه يزيد المؤمن أجرا وبركة ونفعاً.

11- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على كل مسلم.

12- من صفات المؤمنين الصالحين اتباع سبيل الأنبياء، والتحلي بأخلاقهم، كالصبر على مصائب الدنيا، والتواضع وعدم الكبر، والبعد عن الاغترار بزينة الحياة الدنيا، وغيرها.

13- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض وشعائر الإسلام، طريق الفلاح.

ثانياً: التوصيات:

1- على المسلمين والمسلمات الرجوع إلى كتاب الله تعالى، والعلم الشرعي علماً وعملاً.

2- ضرورة اهتمام كل مربٍّ بزرع العقيدة الصحيحة في النفوس بأساليب متنوعة، كمخاطبة الفطرة الإنسانية، والحث على النظر في الآيات الكونية.

3- الحث على إثراء المكتبة الإسلامية بالبحث في كتاب الله، واستنباط واستلهام ما يفعّل دور القرآن في إصلاح الأمة الإسلامية.

4- دعم الفرع الشرعي في مدارسنا الحكومية، وترغيب الطلبة والطالبات للالتحاق به.

5- أوصي نفسي وغيري بتقوى الله، والإخلاص في القول والعمل.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يتجاوز عن سيئاتي وتقصيري وجهلي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1. *الإتقان في علوم القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1974 م.
2. *أحكام القرآن*، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، (د.ت).
3. *أحكام القرآن*، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1424 هـ – 2003 م.
4. *الأخلاق والسير في مداواة النفوس*، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
5. *أدب الدنيا والدين*، أبو الحسن البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط1، 1986م.
6. *الأدب الصغير والأدب الكبير*، عبد الله بن المقفع ، دار صادر، بيروت، ط1، (د.ت)
7. *الأدب المفرد*، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409 هـ –1989 م.
8. *الأساليب والإطلاقات العربية*، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط1، 2011م.
9. *أسباب نزول القرآن*، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح– الدمام، ط2، 1412هـ – 1992 م.
10. *الاستقامة*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ط1، 1403هـ.

11. *أسلوب الحذف في القرآن*، موقع إسلام ويب، تاريخ الاطلاع: 2021/05/27م. الرابط: https://cutt.us/hZYhW

12. *أسلوب الشرط في اللغة العربية*، موقع أنا البحر، تاريخ الاطلاع: 2021/4/25م. الرابط: https://cutt.us/i20bg

13. *أسلوب الشرط*، ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: 2021/03/15م. الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B3%D9%84%D9%88%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B7

14. الأصلان في علوم القرآن، محمد عبد المنعم القيعي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط4، 1996م.

15. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415هـ.

16. *الإعجاز في قوله "واقصد في مشيك"*، موقع سطور، تاريخ الاطلاع: 2021/04/25م. الرابط: https://cutt.us/N0x0M

17. *إعراب القرآن الكريم:* أحمد عبيد الدعاس، وأحمد محمد حميدان، وإسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي، ط1، دمشق، 1425هـ.

18. *إعراب القرآن وبيانه،* محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق، ط4، 1415هـ.

19. *الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل*، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1418هـ.

20. *أمراض القلب وشفاؤها*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1399هـ.

21. *الآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد بن محمد الوعلان،* (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1433هـ.

22. *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير :* جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط5، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.

23. *بحر العلوم :* تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1413هـ – 1993م.

24. *البرهان في علوم القرآن*، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376 هـ – 1957م.

25. *التبيان في إعراب القرآن :* أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت – لبنان، 1421هـ – 2001م.

26. *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ت).

27. *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

28. *التعريفات*، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: ابراهيم الأيباري. دار الكتاب العربي، بيروت، ط1. 1405هـ

29. *تعريف الإضراب في النحو*، موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: 2021/04/17م. الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B6%D8%B1%D8%A7%D8%A8_(%D9%86%D8%AD%D9%88)

30. *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، أبو السعود العمادي محمد محمد مصطفى، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

31. *تفسير الشعراوي= الخواطر*، محمد متولي الشعراوي، ط1، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.

32. *تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)*، إسماعيل عمر كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419 هـ.

33. *تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة*، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور *الماتريدي*، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 2005 م.

34. *تفسير المراغي*، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م.

35. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:* د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط2، دمشق، 1418هـ.

36. *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.

37. *تفسير آيات الأحكام من القرآن*، محمد علي، الصابوني، ط1. القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر، 2007م.

38. *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، محمد الأمين عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، ط1، بيروت – لبنان، دار طوق النجاة، 1421 هـ - 2001 م.

39. *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001 م.

40. *التوحيد وأثره في حياة المسلم*، حمد بن إبراهيم الحريقي، دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ .

41. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :* العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ط، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1404هـ.

42. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000 م

43. جامع المسائل - *المجموعة الرابعة*، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، محمد عزير شمس، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، ط1، 1422هـ.

44. *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، (د.م)، دار طوق النجاة، 1422هـ.

45. *الجدول في إعراب القرآن الكريم:* محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، ط4، بيروت، 1418هـ.

46. *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت).

47. *الحديث الموضوعي*، مناهج جامعة المدينة العالمية ، جامعة المدينة العالمية، ط1، (د.ت).

48. *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، عبد العظيم المطعني، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، مكتبة وهبة، ط، (د.ت).

49. *درة التنزيل وغرة التأويل*، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 2001م.

50. *دلائل الإعجاز*، الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، جدة، ط3، 1992م.

51. *رسالة الشرك ومظاهره*، مبارك بن محمد الميلي الجزائري، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.

52. *رسالة في الفقه الميسر*، صالح بن غانم السدلان، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1425هـ.

53. *روائع البيان تفسير آيات الأحكام*، محمد علي الصابوني، ط3، مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، 1400هـ – 1980م.

54. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415هـ.

55. *الزاهر في معاني كلمات الناس*، محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، تحقيق: ط2، حاتم الضامن، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، 1987م.

56. *الزهد*، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت).

57. *سنن الترمذي*: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، مصر، 1395 هـ - 1975 م.

58. *سهام الإسلام*، عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني القنطري الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (مطبعة أحمد زبانة) – الجزائر، ط1، 1980م.

59. *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، محمد حبان أحمد حبان معاذ بن مَعْبدَ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414 هـ- 1993م.

60. *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

61. *صفوة التفاسير*، محمد على الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ- 1997م.

62. *عقيدة التوحيد في القرآن الكريم*، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ.

63. *الفتاوى الكبرى لابن تيمية*، تقي الدين أحمد عبد الحليم عبد السلام عبد الله أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1987م.

64. *الفقه على المذاهب الأربعة*، عبد الرحمن محمد عوض الجزيري، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2003 م.

65. *فهم القرآن ومعانيه*، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله ، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي ، دار الفكر – بيروت، ط2، 1398هـ.

66. *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية:* نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر - الغورية، ط1، مصر، 1419هـ - 1999م.

67. *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط32، 2008م.

68. *القواعد الحسان لتفسير القرآن*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م.

69. *قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد*، محمد بن علي ابن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ)، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط2، 2005م.

70. *كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»*، عمر العرباوي الحملاوي، مطبعة الوراقة العصرية، ط1، 1404 هـ - 1984 م.

71. *اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل*، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر – دمشق، ط1، 1983م.

72. *لطائف الإشارات = تفسير القشيري*، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط1، (د.ت).

73. *الله يحدث عباده عن نفسه*، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1435هـ.

74. *مباحث في علوم القرآن:* مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 3، (د.م)، 1421هـ- 2000م.

75. *المجتبى من مشكل إعراب القرآن:* أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، المدينة المنورة، 1426 هـ.

76. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (د.ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.

77. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (د.ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.

78. مجموع *فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله*، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ط1، (د.ت).

79. *محاسن التأويل:* محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418 هـ.

80. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1973م.

81. *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، مكتبه السنة ، القاهرة، ط2، 1423م.

82. مذكرة *التوحيد*، عبد الرزاق العفيفي، ط1، القاهرة، دار الفرقان المصرية، 2010م.

83. *مسند الإمام أحمد بن حنبل:* أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، د.م، 1421 هـ - 2001 م.

84. *المعجزة الكبرى القرآن*، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، (د.ت).

85. *المعجزة الكبرى القرآن*، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، (د.ت).

86. معجم *التعريفات*، علي محمد علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ -1983م.

87. معجم *المصطلحات والألفاظ الفقهية،* محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، السعودية، 1431هـ.

88. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي،1420 هـ.

89. من *بلاغة القرآن*، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، مكتبة نهضه مصر، القاهرة، ط1، 2005م.

90. من *روائع القرآن*، محمد سعيد رمضان البوطيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ

91. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، دمشق، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، (د.ت).

92. *المنتخب في تفسير القرآن الكريم:* لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط 18، 1416هـ – 1995م.

93. *موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت*، حيدر حب الله، ط1، إيران، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، 2008م.

94. *موسوعة فقه القلوب*، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيروت، بيت الأفكار الدولية، ط1، (د.ت).

95. *النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة:* عباس حسن، دار المعارف، ط15، مصر، د.ت.

96. *نداءات الرحمن لأهل الإيمان*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 2001م.

97. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم*، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، (د.ت).

98. *نظم الدرر في تناسب الآي والسور:* إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة، د.ت.

99. *النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام*، الإمام الحافظ محمد بن على الكرجي القصَّاب، تحقيق: د. علي بن غازي التيجري، دار القيم، ط1، 2003م.

100. *النكت في إعجاز القرآن*، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ، ط3، 1976م.

101. *وظيفة الصورة الفنية في القرآن*، عبد السلام أحمد الراغب، ط1، حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، 1422هـ – 2001م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
33	170	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
27	197	﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾
43	233	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾
95	285	﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
98	286	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾
		آل عمران
107	5	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
98	8	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
63	14	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ ... ﴾
95	26	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ... ﴾
107	32	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾
89	86	﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
49	104	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾	110	49، 51
﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾	144	47
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	159	57
النساء		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾	48	71
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ... ﴾	59	54
﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾	97	104
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ ... ﴾	103	39
﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾	120	28
﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	123	28
﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾	147	46
المائدة		
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ... ﴾	3	45

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	70	33
﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	136	63
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	146	56
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	157	50
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا ... ﴾	187	29
﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	204	37
الأنفال		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾	1	8
التوبة		
﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	13	105
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴾	71	50، 51
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	103	40
يونس		
﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ ... ﴾	22-23	25

الصفحة	رقمها	طرف الآية
89	4	﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾
		المؤمنون
39	1-2	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
55	47	﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾
99	108	﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾
		النور
107	45	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
39	56	﴿وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
		الفرقان
104	7	﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
81	63	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ... ﴾
		الشعراء
23	3	﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
104	23	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
56	215	﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
		النمل
خ	19	﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	7	15، 17
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾	8	18
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	9	18
﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ ... ﴾	10	19، 91
﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	11	20، 72، 89
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	12	45
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	13	13، 99
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	14	42، 52
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ ... ﴾	15-14	86
﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ... ﴾	15	8، 52، 99
﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	16	76، 96، 110

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	17	48، 100
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا ... ﴾	18	55، 79، 100
﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ... ﴾	19	80، 100
﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ... ﴾	20	20، 31
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾	21	32، 104
﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ... ﴾	20-21	31
﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾	22	22
﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	23	94
﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾	24	23
﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ ... ﴾	23-24	22
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	25	20

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	اسم المصدر	درجة صحة الحديث	الصفحة
فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا ...	صحيح مسلم	صحيح	51
قال لِي النَّبِيُّ ﷺ اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ ...	صحيح البخاري	صحيح	37
كَانَ النَّبِيَّﷺ يقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ – أَوْ سَاقَاهُ – ...	صحيح البخاري	صحيح	46
الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا ...	صحيح ابن حبان	صحيح	56
كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ	صحيح البخاري	صحيح	24
لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ	صحيح مسلم	صحيح	53
لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . قَالَ ...	صحيح مسلم	صحيح	56
لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ	صحيح البخاري	صحيح	68
لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا	صحيح البخاري	صحيح	63
مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَتْلُونَ ...	سنن أبي داوود	إسناده صحيح	37
مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ	صحيح مسلم	صحيح	57
مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ ...	صحيح البخاري	صحيح	61

طرف الحديث	اسم المصدر	درجة صحة الحديث	الصفحة
مفاتح الغيب خمس ، ثم قرأ :إن الله عنده علم الساعة	البخاري	صحيح	30
مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا ...	مسند أحمد	إسناده صحيح على شرط مسلم	31
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، ...	صحيح مسلم	صحيح	50
منْ قَرَأَ حَرْفاً منْ كِتَابِ الله، فَلَهُ بِهِ حَسَنَة وَالحَسَنَةُ ...	سنن الترمذي	صححه الألباني	37
هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ	صحيح البخاري	صحيح	75
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ	الأدب المفرد للبخاري	صححه الألباني	71
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ ...	الأدب المفرد للبخاري	صححه الألباني	79
يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ « الصَّلاَةُ ...	صحيح مسلم	صحيح	72